

قضايا ثقافية معاصرة

د. محمود أحمد صالح

إعداد : **DoDy Cool**

المحاضرة التمهيديّة

مُقَدِّمَةٌ فِي مَعْنَى الْقَضَايَا الثَّقَافِيَّةِ الْمُعَاصِرَةِ:

تعريف الثقافة:

هي: جَمِيعُ السَّمَاتِ الرُّوحِيَّةِ وَالْمَادِّيَّةِ وَالْفِكْرِيَّةِ وَالْعَاطِفِيَّةِ الَّتِي تُمَيِّزُ مَجْتَمَعًا بَعَيْنِهِ، أَوْ فَنَّهُ اجْتِمَاعِيَّةً بَعَيْنِهَا.

وتشمل: الفنون والآداب وطرائق الحياة.

كما تشمل: الحقوق الأساسية للإنسان ونُظُمَ القِيمِ وَالتَّقَالِيدِ وَالمُعْتَقَدَاتِ.

هذا هو التعريف العالمي للثقافة.

والتعريفات الأخرى لا تتعد عن إطاره مثل ما جاء في منظمة الإسكو وهي المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، وكذلك ما جاء عن الإسكو وهي المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم.

- والثقافة هي التي تمنح الإنسان قدرته على التفكير في ذاته، وهي التي تجعل منه كائناً يتميز بالإنسانية، والقدرة على النقد والالتزام الأخلاقي، فعن طريقها نهتدي إلى القيم ونمارسها.
- إن الثقافة تتمثل فيما يتعلق بالإنسان من حيث هو إنسان، فكل ما يتعلق بالإنسان من حيث إنسانيته فهو ثقافة.
- ويمكننا من خلال التعريف السابق أن نضع الملحوظات الآتية:

((1)) إن قضايا الثقافة قضايا تهم الإنسان بصفته الإنسانية؛ لذلك قلنا: العقائد والفن والأخلاق والقانون والعرف وكل القدرات والعادات ولم نقل: الطب أو الكيمياء أو الهندسة لأنها أشياء مادية أما الأخلاق ومثيلاتها فهي جانب إنساني روحي؛ أي: قضايا ذات بعد إنساني.

((2)) هذه العناصر متداخلة وليست عناصر مفصولة عن بعضها البعض بل هي بناء متكامل؛ أي: كلٌّ مركبٌ وهناك معتقدات تقوم عليها قيم.

((3)) إن هذه الثقافة ليست معارف نظرية؛ أي: ليست فلسفة أو فكراً مجرداً في عقل إنسان أو فيلسوف أو سطرراً كتاب بل الثقافة حياة جماعية وواقع فكري وسلوكي يتحرك به الناس؛ أي: علم وعمل مترابطان.

((4)) إن الثقافة ليست تميزاً فردياً بل هي جماعية؛ بمعنى أن الشخص يعيش الثقافة في ظل مجتمع أو أمة تعيش هذه الثقافة، ومن الصعب أن يعيش الإنسان بعيداً عن ثقافته، لذلك يعاني المغترب ونجده يبحث عن أقلية أو أسرة تتفق معه في الثقافة.

((5)) إن الثقافة بمجموعها تمثل تميزاً للمجتمع أو الأمة عن المجتمعات والأمم الأخرى؛ أي: إن الأمم تختلف وتتمايز عن بعضها في الثقافات وليس بالجوانب المادية ولا استعمال السيارات ولا الطب التشريحي ولكن بين المسلم والغربي والهندوسي التمايز بالثقافة والعقائد والنظم والأعراف.

عناصر الثقافة:

للثقافة ثلاثة عناصر أساسية هي التي تشكل ثقافة الأمم مهما اختلفت؛ فأى ثقافة في العالم لا بد أن تحوي هذه الثلاثة العناصر بدائية أو متحضرة، كتابية أو ليست كتابية؛ بمعنى أن الاختلاف ليس على وجود هذه العناصر إنما الاختلاف في نوعية هذه الثقافة من مجتمع إلى آخر.

والعناصر هي: ((1)) تفسير الوجود. ((2)) القِيم. ((3)) النُّظُم.

عناصر الثقافة/ الأول: تفسير الوجود

هي تلك الإجابة التي يشعر الإنسان - أي إنسان - أنها مطلبٌ لديه؛ وهي عموماً إجابات الأسئلة الوجودية: من أنا؟ كيف جئت؟ ما هدف وجودي؟ ما هو مصيري؟ ماذا بعد الحياة؟ كيف جاء هذا الكون وما علاقتي به؟ هل هذا الكون له إله؟ وكم إله له؟ إلخ ولا يهدأ الإنسان ولا يقرُّ له قرارٌ حتى يجد إجاباتٍ بغضِّ النظر عن صحتها؛ سواءً كانت الإجابات ربّانية أو خرافية أو أسطورية أو فلسفية؛ فإن كانت صحيحة هدأت نفسه واطمأنت، وإلا فلا.

عناصر الثقافة/ الثاني: القيم

هي المعايير التي يتعامل معها الإنسان في الحياة مثل العدل، الصدق، الوفاء. وهي تلك المثل التي تتميز بها الحياة الإنسانية عن الحياة الحيوانية. أو هي القواعد التي يقيم الناس عليها حياتهم ليرتفعوا بها عن الحياة الحيوانية. وهي على أنواع:

((1)) قيم فكرية (قيم الحق): معايير تحكم حركة الإنسان الفكرية.

((2)) قيم الخير: القيم الأخلاقية: الصدق، الوفاء، البر، الحياء.

((3)) قيم الجمال: قيم الذوق ورؤية الجماليات.

عناصر الثقافة/ الثالث: النظم التشريعية في جوانب الحياة

القوانين أو التعاليم والأعراف والتقاليد أو الشعائر التي يمارسها الإنسان في حياته سواء اللصيقة بالإنسان (العبادة، الأخلاق) أو ما دونها (النظم التعليمية، الإعلامية، الإدارية) وتشمل كذلك التشريعات التاريخية التي توارثتها الأجيال وأصبحت قانوناً ملزماً سواء كانت مدروسة أو غير مدروسة مثل نظم العشائر والبدو وهي نظم لا يستطيع الإنسان أن ينفك عنها.

من خلال هذه العناصر تتشكل شخصية الإنسان وتبنى ثقافته.

معنى القضايا الثقافية المعاصرة:

هي الموضوعات أو المسائل أو المشكلات التي تثيرها بعض جوانب الثقافة أو عناصرها؛ إما ما يتعلق منها بالوجود أو بالقيم أو بالنظم، ونتناولها في صيغة قضايا تواجهنا في واقعنا المعاصر الذي نعيشه، ونحتاج تجاهها إلى موقف نحدّد به وجهتنا.

المحاضرة الأولى

1 الوَسْطِيَّةُ

عناصرُ المُحاضرةِ

(1) مُقدِّمة:

نبين فيها سمة الوسطية وأنها ملازمة للأمة الإسلامية الخاتمة.

(2) مفهؤمُ الوَسْطِيَّةِ.

مُقدِّمة:

- الوسطية سمة هذه الأمة، وبها تُعرف دون الأمم، بل هي ميزة ميزها الله ﷺ بها على غيرها، ورد وصف الأمة بها في القرآن الكريم في قوله ﷺ: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) [البقرة: من الآية 143].

- قال ابن تيمية رحمه الله: ((قد خصَّ الله ﷺ محمداً ﷺ بخصائص ميّزه بها على جميع الأنبياء والمرسلين، وجعل له شرعةً ومنهاجاً أفضل شرعة، وأكمل منهاج مُبين، كما جعل أمته خير أمة أخرجت للناس... وجعلهم وسطاً عدلاً خياراً؛ فهم وسط في توحيد الله وأسمائه وصفاته، وفي الإيمان برسله وكتبه، وشرائع دينه من الأمر والنهي والحلال والحرام)).

- ومع كون الوسطية سمة من سمات الأمة فإنه يتنازعها في الواقع العديد من الأطراف، منهم الجافي والمغالي، ومنهم من يأخذ بها في طرف دون طرف.

- بل تستخدم الوسطية أحياناً لتمرير بعض المفاهيم الخطأ، وتلبس الحق بالباطل، أو توظف لأغراض ظاهرها الدين وباطنها الدنيا، وتضيق الوسطية بين الإفراط والتفريط.

- ومن هنا كان من المهم بيان الوسطية ومجالاتها ومنهجها.

مَفْهُومُ الوَسْطِيَّةِ:

- ليس المقصود بالوسطية أنها ملتقى الطرفين دائماً لأن هذه الأمة آخر الأمم، وإنما المقصود بها أن هذه الأمة أمةٌ خيارٌ عدولٌ؛ لقوله ﷺ: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) [البقرة: 143].

- ولقول النبي ﷺ: ((نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)). [أخرجه البخاري: كتاب الجمعة، باب فرض الجمعة].

- والوسطية حالة محمودة تدفع صاحبها للالتزام بهدي الإسلام دون انحراف عنه، أو تغيير فيه، بل تستقي الهدي الصادق من النبع الصافي لتجعل الأمة عادلة وتقيم العدل بين الناس، وتنشر الخير، وتحقق عمارة الأرض بوحداية الله، فيعطى في ظل الإسلام كل ذي حق حقه.

- وقد أشار القرآن إلى الوسطية بمعنى الخيرية في آيتين من خمس آيات نصت على لفظة الوسطية:

الأولى في قوله ﷺ: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) [البقرة: 143].

والثانية في قوله ﷺ: (قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ) [القلم: 28]؛ أي: أعدلهم وأرجحهم عقلاً.

- والوسطية حالة محمودة تدفع صاحبها للالتزام بهدي الإسلام دون انحراف عنه، أو تغيير فيه، بل تستقي الهدي الصادق من النبع الصافي لتجعل الأمة عادلة وتقيم العدل بين الناس، وتنشر الخير، وتحقق عمارة الأرض بوحداية الله، فيعطى في ظل الإسلام كل ذي حق حقه.

- وقد أشار القرآن إلى الوسطية بمعنى الخيرية في آيتين من خمس آيات نصت على لفظة الوسطية:

الأولى في قوله ﷺ: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) [البقرة: 143].

والثانية في قوله ﷺ: (قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ) [القلم: 28]؛ أي: أعدلهم وأرجحهم عقلاً.

- كما أن الوسطية تعني أعدل الأحوال؛ كما جاء في حديث النبي ﷺ للثلاثة الرهط حين تقالوا عبادته ﷺ، فقال لهم: ((أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لِأَخْشَاكُمُ لِلَّهِ وَاتَّقَاكُمُ لَهُ، وَلَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ؛ فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي))
 - وقد فهم الصحابة والسلف ذلك المعنى من الوسطية؛ فنقل عن الإمام علي عليه السلام قوله: عليكم بالثَمَطِ الأوسَطِ؛ فإليه ينزل العالي، وإليه يرتفع النازل.
 - وفي رواية: يلحق بهم التالي، ويرجع إليهم الغالي. [أخرجه أبو عبيد في غريب الحديث].
 - وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: إن من أحب الأمور إلى الله القصد في الجدّة، والعفو في المقدرة، والرّفق في الولاية، وما رفق عبْدٌ بعبدٍ في الدنيا إلا رفق الله به يوم القيامة. [رواه ابن أبي شيبة].
 - وقد عنى النبي ﷺ بالوسطية أيضاً أنها البعد عن الشَطَطِ والاحتراف واللغو؛ فقال ﷺ: ((وَأَيَّاكُمْ وَالْعُلُوُّ فِي الدِّينِ؛ فَإِنَّمَا هَلَكٌ مَن كَانَ قَبْلَكُمْ بِالْعُلُوِّ فِي الدِّينِ)). [أخرجه الإمام أحمد والنسائي - وصححه - ابن خزيمة وابن حبان والحاكم].
 - وقال صلى الله عليه وسلم: ((يَسْرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفِرُوا؛ إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُبَشِّرِينَ وَمَنْ تَبِعْتُمْ مُعَسِّرِينَ)). [متفق عليه].
 - وتقوم وسطية الإسلام على قواعد من القرآن والحديث النبوي.
 - وفي قول الله ﷻ في محكم التنزيل: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) أوضح الطبري هذا التشبيه بقوله: والوسط في كلام العرب: الخيار... ثم قال: وأنا أرى أن الوسط في هذا الموضع هو الوسط الذي بمعنى الجزء الذي هو بين الطرفين. [تفسير الطبري 5/2].
 - ووصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه غلو النصارى الذين غلوا بالترهب وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به، ولكنهم - أي: المسلمون - أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك؛ إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها... والخيار من الناس: عدولهم.
 - وقال الرازي الوسط: هو العدل في قول جماعة بدليل الآية والخبر والشعر والنقل والمعنى، أما الآية فهي: (قَالَ أَوْسَطُهُمْ)، والخبر: ما رواه القفال عن الثوري عن أبي سعيد الخدري عليه السلام عن النبي ﷺ أنه قال: ((أمة وسطاً؛ قال: عدلاً)).
 - وما رواه ابن السمعاني عن علي عليه السلام مرفوعاً: ((خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا أَوْ أَوْسَطُهَا)).
 - وفي رواية ابن عباس رضي الله عنهما عند الديلمي: ((خَيْرُ الْأُمُورِ أَوْسَطُهَا)).
- والشعر قول زهير:
- هُم وَسَطٌ يَرْضَى الْأَتَامَ بِحُكْمِهِمْ إِذَا نَزَلَتْ إِحْدَى اللَّيَالِي بِمُعْظَمِ
- والنقل كما قال الجوهر في ((الصحاح)): ((أمة وسطاً؛ أي: عدلاً))،
 - وأكد القرطبي تفسير الوسط بأنه العدل.
 - فثبت أن الأمة الإسلامية متصفة بالعدالة؛ مما جعلها أهلاً لأداء الشهادة على الأمم الأخرى بأن رسلمهم بلغوهم رسالات ربهم، ورسولنا شاهدٌ علينا بأنه بلغنا الرسالة، وأدى الأمانة.
 - كما ثبت عند القائلين بتفسير الوسط بأنه الخيار من كل شيء أنّ الأمة الإسلامية معتدلة متوسطة في رسالتها وشريعتها، ومبادئها وقيمها، تلتزم الصراط السوي، وتلتزم منهج الاعتدال، وتتجه بإخلاص منقطع النظير لإصلاح الأمم والشعوب والأفراد بما يحقق لهم السعادة والنجاة، ويكفل لهم عز الدنيا، والفلاح في الآخرة على أساس الجمع بين المثل العليا والواقع المشاهد.
 - ثم إن اتصاف الأمة الإسلامية بالعدالة والخيرية يؤهلها لأن تكون أمة القيادة والتوجيه، لالتزامها شرف الكلمة والإحسان والعدل، والتوازن والاعتدال، ولصواب عقيدتها، وإحكام نظامها وشريعتها ومنهجها.

المحاضرة الثانية

الوسطية 2

عناصر المحاضرة

(1) وسطيّة الأُمّة والدين والرّسالة.

(2) معالم الوسطيّة.

(3) مجالات ومظاهر الوسطيّة

وسطيّة الأُمّة والدين والرّسالة: لوسطيّة:

- والمعنى في هذا السياق القرآني ينصرف إلى أمور ثلاثة:

أولها: الأمة الوسط. وثانيها: الدين الوسط. وثالثها: الرسالة الوسط.

- فالأمة الوسط التي تدين بالدين الوسط وهي ذات رسالة وسطية، تحمل مبادئ الإيمان والحرية والمساواة والتكافل والتضامن بين جميع البشر، وتنتشر قيم الخير والفضيلة، وتدعو الناس كافة إلى سواء السبيل، وتسلك بهم الطرق المستقيمة التي توصلهم إلى الأمن والأمان، والسلام والاطمئنان، وإلى سكينه القلب وراحة الوجدان.

- والأمة الوسط شاهدة على الناس الشهادة التي تؤكد التكليف الإلهي؛ (لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا).

- والشهادة بالحق هي أعلى الدرجات في سلم المسؤولية التي تتحملها الأمة الإسلامية وتنهض بأعبائها وتقوم بواجباتها.

- لقد اختار الله الأمة الإسلامية لتكون شاهدة على العالمين لأنها أمة الوسط، لا تميل إلى التفريط ولا إلى الإفراط.

- ولأن خيرية الأمة من وسطيّتها يقول ﷺ في كتابه العزيز: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ)؛ فالخيرية في هذا السياق هي الوسطية، والله ﷻ وصف أمة الإسلام بالصفتين معاً، كما وصفها بصفات أخرى في آيات كثيرة.

- ولما جعل الله هذه الأمة وسطاً فقد خصّها بأكمل الشرائع وأقوم المناهج؛ كما قال ﷺ: (هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِثْلَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ).

- لقد جعل الله الإسلام ديناً وسطاً وأمر المسلمين بأن يكونوا خياراً عدولاً، فهم خيار الأمم والوسط في الأمور كلها، بلا إفراط ولا تفريط، في شأن الدين والدنيا، وبلا غلو في دينهم، ولا تقصير منهم في واجباتهم،

- فهم ليسوا بالماديين، ولا بالروحانيين، وإنما جمعوا حق الجسد وحق الروح، تمشياً مع الفطرة الإنسانية القائمة على أن الإنسان جسد وروح.

- ولعلنا بهذا الربط بين (وسطية الإسلام)، وبين (خيرية الأمة الإسلامية)، نصل إلى إدراك المفهوم العميق لهذا المبدأ السامي من مبادئ الإسلام؛ وهو مبدأ لم تكن تعرفه الأديان السماوية السابقة على الإسلام، وذلك مما يتطابق تطابقاً تاماً مع الدين الخاتم والرسالة الخاتمة.

- ولا ينبغي أن يتبادر إلى الذهن على أي نحو من الأنحاء أن الوسطية تعني مستوى من مستويات التوفيق بين قواعد ومبادئ وقيم ومثل نزولاً على مقتضى من المقتضيات، أو أنها ضرب من (التقريب) بين ما تباين واختلف من التشريعات والأحكام. فهذا الفهم للوسطية يجافي حقيقتها ويتعارض مع خصوصيتها.

- وجملة القول أن الوسطية هي تحقيق لمبدأ التوازن الذي تقوم عليه سنة الله في خلقه. يقول ﷺ: (إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ)؛ أي: بمقدار وبميزان.

- فالوسطية هي المنهج الرباني، والنظام الكوني الإلهي، وسنة الله في خلقه، وهي تنسجم مع الفطرة الإنسانية، ولذلك فالخير كله في الوسطية التي جاء بها الإسلام للأمة الإسلامية وللإنسانية جمعاء، في كل زمان ومكان.

- وقد بلغت الوسطية الإسلامية وتبلغ هذا المقام في حضارتنا لأنها بنفيتها الغلو الظالم والتطرف الباطل إنما تمثل الفطرة الإنسانية الطبيعية في براءتها، وفي بساطتها، وبداهتها، وعمقها، وصدق تعبيرها عن فطرة الله التي فطر الناس عليها، إنها صبغة الله.

- (1)) توحيد مصادر المعرفة: وذلك بالجمع بين الوحي والعقل؛ فالوحي هو مصدر التشريع، والعقل له دور في فهم الوحي، كما أنه مصدر من مصادر المعرفة البشرية العامة في الحياة، كما أنه يجمع بين علوم الشريعة وعلوم الحياة.
- (2)) التلازم بين الظاهر والباطن: فيجمع بين الاهتمام بأعمال الجوارح وأعمال القلوب، أو ما يعرف بفقهاء الظاهر وفقهاء الباطن.
- (3)) الاتباع في الدين، والإبداع في أمور الدنيا.
- (4)) صحة النقل وصراحة العقل: فيجمع بين منهجي مدرسة الرأي ومدرسة الأثر.
- (5)) الجمع بين عمارة الحياة والسمو الروحي: فيتولد عنه الاتزان بين متطلبات الجسد والروح، وتكون الدنيا مزرعة الآخرة، ويجمع بينهما وفق منهج الله.
- (6)) الاجتهاد الصادر من أهله وفي محله: فلا هو يغلقه كلية، ولا يفتح لكل أحد.
- (7)) الثبات في الأهداف والمرونة في الوسائل.
- (8)) التوازن في التعامل مع التراث احتراماً بين التقيديس والتبخييس.
- (9)) التكامُل في بناء الإنسان عقلاً وروحاً وجسداً ووجداناً بصورة متوازنة.
- (10)) قوة المضمون وجمال العرض والأسلوب: فكم من الجواهر الحسان ضاعت لسوء عرضها، وكم من الناس غشَّ الآخرين ببضاعته المزجاة لأنه أحسن عرضها.
- (11)) الجمع بين التهذيب والتأديب، بين البناء الداخلي والسلطان الخارجي.
- (12)) تحرير المرأة من الوافد المستلب ومن التقليد الموروث؛ وذلك أن القضية اكتنفها طرفان: طرف يريد للمرأة الانسلاخ من القيم، وآخر يُكرهها على عادات وتقاليدها لا علاقة لها بالشرع، والوسط أن يعيش كل من المرأة والرجل وفق منهج الله.

مَجَالَاتُ وَمَظَاهِرُ الوَسْطِيَّةِ:

- إن للوسطية في الإسلام مظاهر متعددة في مجالات متنوعة، فالوسطية الإسلامية كامنة في الاعتقاد والعبادات والشعائر والأخلاق والتشريع.
- (1)) ففي مجال الاعتقاد نجد الإسلام وسطاً بين الخرافيين الذين يصدقون بكل شيء ويؤمنون بغير برهان وبين الماديين الذين ينكرون كل ما وراء الحس، كما أنه وسط بين الملاحدة الذين لا يؤمنون بالله قط وبين الذين يعددون الآلهة حتى عبدوا الأبقار والهوا الأوثان والأحجار.
- (2)) وهو وسط بين الذين يقدسون الأنبياء حتى رفعوهم إلى مرتبة الألوهية أو البنوة لئلا وبين الذين كذبوهم واتهموهم وصبوا عليهم كؤوس العذاب، وهو وسط بين الذين يؤلّهون الإنسان وبين الذين جعلوه أسير جبرية اقتصادية أو اجتماعية أو دينية.
- (3)) والوسطية في العقيدة موافقةً للظفرة باعتماد منهج القرآن والسنة والسلف الصالح في أمر العقيدة، والبعد عن اصطلاحات الجدليين، والاهتمام ببيان أثر العقيدة على النفوس، واعتماد طريقتي المعرفة العقلية والعقلية في العقيدة لتقوية الصلة بالله ﷻ.
- (4)) وفي مجال العبادات والشعائر نجد الإسلام وسطاً بين الأديان والنحل التي ألغت الجانب الرباني - جانب العبادة - من معناه كالبيودية التي اقتصرت فروضها على الجانب الأخلاقي الإنساني وحده. وبين الأديان والنحل التي طلبت من أتباعها التفرغ للعبادة والانتقطاع عن الحياة والإنتاج، كالرهبانية المسيحية. فالإسلام يطلب من المسلم أداء شعائر محدودة، ثم يطلقه بعد ذلك ساعياً منتجاً يمشي في منابك الأرض ويأكل من رزق الله.

((5)) وسطية الشعائر الدافعة للعمارة، فالتكاليف ليست كثيرة ولا شاقة، كما أنها لا تتعارض مع متطلبات الحياة من سعي لرزق وكدح لتأمين معاش.

((6)) التوسط بين التمدب والتقليد: وما أحسن ما عبر عنه الإمام ابن القيم رحمه الله؛ حيث فرق بين التقليد والاتباع؛ فالاتباع عمل بقول الغير مع الحجة والدليل، أما التقليد فهو عمل بغير دليل.

((7)) وسطية في الفتوى: بالمقارنة بين الكلّي والجزئيّ، والموازنة بين المقاصد والفروع، والربط بين النصوص ومعتبرات المصالح في الفتاوى والآراء؛ فلا شطط ولا وكس.

((8)) وفي مجال الأخلاق نجد الإسلام وسطاً بين غلاة المثاليين الذين تخيلوا الإنسان ملاكاً أو شبة ملاكٍ وبين غلاة الواقعيين الذين حسبوه حيواناً أو كالحيوان، فالإنسان في نظر الإسلام مخلوق مُركب فيه العقل وفيه الشهوة، فيه غريزة الحيوان وروحانية الملاك.

((9)) وسطية في التعامل مع الآخر: فيجعل الحوار أساساً للتعامل مع الآخر، ويعطيه الحرية في ممارسة شعائره، ولا يكون الخلاف دافعاً للعداء أو الاعتداء، بل العيش المشترك هو الجامع للتعاون، وأن المواطنة تقرب بين المختلفين، وتجعلهم يسعون للاشتراك في تحقيق المصالح المرجوة للجميع.

((10)) والإسلام وسط في النظرة إلى الحياة بين الذين أنكروا الآخرة واعتبروا الحياة الدنيا هي البداية والنهاية، وبين الذين رفضوا هذه الحياة وألغوا اعتبارها من وجودهم واعتبروها شرّاً تجب مقاومته والفرار منه، فحرموا على أنفسهم طبيّاتها وزينتها.

((11)) وفي مجال التشريع نجد الإسلام وسطاً في التحليل والتحريم بين اليهودية التي أسرفت في التحريم وكثرت فيها المحرّمات مما حرّمه إسرائيل على نفسه ومما حرّمه الله على اليهود جزاء بغيهم وظلمهم، وبين المسيحية التي أسرفت في الإباحة حتى أحلت الأشياء المنصوص على تحريمها في التوراة.

((11)) ومن المظاهر الفريدة في وسطية الإسلام أنه وازن بين الفردية والجماعية، بعكس التيارات الفلسفية والفكرية التي جاء بعضها ليطلق حرية الإنسان في كل شيء، والمذاهب الأخرى التي جاءت لتجعل خصوصيات الفرد مشاعاً للمجتمع كله.

((12)) والإسلام وسط في التفاعل الحضاري: من خلال الفاعلية الإيجابية دون تفوق أو استلاب، والاعتزاز بلا استعلاء، والتسامح بلا هوان، فالمسلمون أمة قائمة برأسها تتمتع بخصائصها الذاتية المتميزة، فهم كما وصفهم رسولهم الكريم ﷺ: ((المسلمون تَنكأفأ دِمَاؤُهُمْ، وَيَسَعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، وَهُمْ يَدُّ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ)).

المحاضرة الثالثة

عَالَمِيَّةُ الْإِسْلَامِ وَالرَّوَابِطُ الْبَشَرِيَّةُ

عناصرُ المُحاضرة:

(1) مفهومُ العَالَمِيَّةِ.

(2) مُسْتَنَدُ عَالَمِيَّةِ الْإِسْلَامِ:

أولاً: أدلَّةُ عَالَمِيَّةِ الْإِسْلَامِ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

ثانياً: أدلَّةُ عَالَمِيَّةِ الْإِسْلَامِ مِنَ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الْمُطَهَّرَةِ.

(3) مُرْتَكزَاتُ عَالَمِيَّةِ الْإِسْلَامِ وَدَعَائِمُهَا.

(4) الرَّوَابِطُ الْبَشَرِيَّةُ: مَفْهُومُهَا وَأَنْوَعُهَا.

مَفْهُومُ الْعَالَمِيَّةِ:

- لغة: العَالَمِيَّةُ نسبةٌ إلى العالم. والعالم في اللغة: الخلقُ كُلُّهُ، وقيل: كلُّ ما حواه بطنُ الفلكِ، وكلُّ صنفٍ من أصنافِ الخلقِ كعالمِ الحيوانِ وعالمِ النباتِ وغيرها.
- من ناحية المفهوم فالعَالَمِيَّةُ أو: عَالَمِيَّةُ الْإِسْلَامِ تعني: أنَّ رسالةَ الإسلامِ غيرُ محدودةٍ بعصرٍ ولا بجيلٍ ولا بمكانٍ؛ فهي تخاطبُ كلَّ الأممِ وكلَّ الأجناسِ وكلَّ الشعوبِ وكلَّ الطبقاتِ وهي هدايةُ ربِّ النَّاسِ لِكُلِّ النَّاسِ ورحمةُ اللهِ لِكُلِّ عبادِ اللهِ.
- عَالَمِيَّةُ الْإِسْلَامِ - معنىً ولفظاً - نطقُ بها القرآن، وحينما نقول: ((شيءٌ عالميٌّ)) فمعناه أنَّه في العالمِ كُلِّهِ أو للعالمِ كُلِّهِ.
- والإسلامُ للعالمين؛ فالقرآنُ الكريمُ وصفَ الرسالةَ الإسلاميَّةَ بأنَّها للعالمين: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا)، (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا)؛ فإذا منتهى العالمية في خطابه.
- فالإسلامُ دينٌ عالميٌّ ارتضاه اللهُ ﷻ لجميعِ الخلقِ إلى أن يرثَ اللهُ الأرضَ ومنَ عليها، وهو وحده الذي جاءتْ هدايتهُ شاملةً لجميعِ مناسِطِ الحياةِ ولمعالجةِ كلِّ القضايا، ويمكنُ تطبيقُ مبادئه في كلِّ زمانٍ ومكانٍ.
- والتشريعُ الإسلاميُّ جاءَ شاملاً وكاملاً وخالداً، لا يختصُّ بزمانٍ دونَ زمانٍ، ولا بقُطرٍ دونَ غيره، ولا بخلقٍ دونَ سواهم.

مُسْتَنَدُ عَالَمِيَّةِ الْإِسْلَامِ:

- يستندُ مفهومُ عَالَمِيَّةِ الْإِسْلَامِ على نصوصٍ كثيرةٍ من القرآنِ الكريمِ والسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ؛ كلُّها تجعلُ من المعلومِ ضرورةً أنَّ الإسلامَ عالميٌّ.
- وأنَّه عقيدةٌ لا ينفردُ بها شعبٌ أو مجتمعٌ بعينه، ولا يختصُّ ببلدٍ أو بلادٍ معيَّنة، بل هو دينٌ ذو قوانينٍ تسري على الأفرادِ على اختلافهم من العنصرِ، والوطنِ، واللِّسانِ.
- ولا يفترضُ لنفوذِهِ حاجزاً بين بني الإنسانِ، ولا يعترفُ بأيةِ فواصلٍ وتحديداتٍ جنسيَّةٍ أو إقليميةٍ أو زمنيَّةٍ؛ فهو عامٌّ في المكانِ والزمانِ.

أولاً: أدلَّةُ عَالَمِيَّةِ الْإِسْلَامِ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ:

إذا نظرنا في نصوص القرآن الكريم وجدنا دلالة واضحة على عَالَمِيَّةِ الْإِسْلَامِ، وذلك من عدة وجوه:

- **الوجه الأول نصوص صريحة؛ منها:**
- النَّصُّ الْأَوَّلُ: (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا).
- النَّصُّ الثَّانِي: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ).
- النَّصُّ الثَّلَاثُ: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا).

الوجه الثاني دعوة غير العرب:

جاء في القرآن الكريم دعوة أهل الكتاب من اليهود والنصارى والمشركين إلى الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ، وبين لهم أن الإسلام هو الدين الحق الذي لا يقبل الله سواه؛ حيث قال ﷺ: (وَمَنْ يَبْنِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)؛ بل تجاوزت رسالة نبينا محمد ﷺ اليهود والنصارى والبشرية بأكملها فلم تقتصر على عالم الإنس فقط بل تعدت ذلك إلى عالم الجن أيضاً.

قال ﷺ: (قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا)

وقال ﷺ: (وَأُذِ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصَتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ*قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ).

الوجه الثالث: خطابات القرآن ونداءاته العامة:

إن القرآن الكريم كثيراً ما يوجه خطابه إلى الناس غير مقيدة بشيء، وهذا دليل واضح على أن خطابه وتوجيهاته تعم الناس كافة؛ ومن أمثله:

- قوله ﷺ: (يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين).
- وقوله ﷺ: (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون). وغيرها من الآيات كثير، فهو يخاطب الناس جميعاً بقوله: ((يا أيها الناس)) ولم يقل: ((يا أيها العرب)).

الوجه الرابع: التشريعات القرآنية العالمية:

- يعتمد الإسلام في جميع أحكامه وتشريعاته، وما يخص الإنسان في معاشه ومعاده على طبيعة الإنسان التي يتساوى فيها جميع البشر.
- ولا يجد الباحث مهما أوتي من مقدرة علمية كبيرة فيما جاء به نبي الإسلام ﷺ أي طابع إقليمي، أو صبغة طائفية. وتلك آية واضحة على أن دعوته دعوة عالمية لا تتحيز إلى فئة معينة، ولا تنجرف إلى طائفة خاصة.
- فالعبادات والمعاملات والأخلاق، والنظام الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والقضائي.... لا تجد في ثنايا أي منها أي تفكير طائفي أو نزعة إقليمية؛ فمثلاً: في المعاملات وما يترتب عليها من مقاضاة بين الناس يأمر الله ﷻ المسلم أينما وجد زماناً ومكاناً قائلاً: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ).

الوجه الخامس: الإسلام ينبذ أي مقومات للتفرقة بين الناس:

- إن أقوى دليل على أن الإسلام رسالة عالمية مكافحته للنزاعات الإقليمية والطائفية، فالإسلام لا يفرق بين أبيض وأسود ولا بين جنس وآخر؛ والمقياس الوحيد للتفاضل في الإسلام هو التقوى.
- قال ﷺ: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم).

ثانياً: أدلة عالمية الإسلام من السنة النبوية المطهرة:

- النص الأول: قوله ﷺ يخبر قومه: ((والله الذي لا إله إلا هو إني رسول الله إليكم خاصة وإلى الناس عامة)).
- النص الثاني: أن النبي ﷺ رحمة مهداة للناس كافة: ((يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة)).
- النص الثالث: اختص ﷺ من بين الأنبياء بأنه بعث للناس كافة: ((أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي... وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس كافة)).
- أرسل ﷺ كتباً إلى عظماء زمانه يدعوهم فيها للإسلام، فبعث سفراءه وفي أيدي كل واحد منهم كتاباً خاصاً إلى قيصر الروم، وكسرى فارس، وعظيم القبط، وملك الحبشة...
رسالته إلى كسرى ملك فارس: ((بسم الله الرحمن الرحيم... من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس: سلام على من اتبع الهدى، وأدعوك بدعاية الله؛ فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً، ويحق القول على الكافرين، أسلم تسلم فإن أبيت فعليك إثم المجوس)).
- وهذا أيضاً ما كتبه إلى قيصر ملك الروم يقول فيه: ((بسم الله الرحمن الرحيم.. إلى هرقل عظيم الروم: سلام على من اتبع الهدى.. أما بعد فإني أدعوك بالإسلام: أسلم تسلم، يوتك الله أجرك مرتين؛ فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين)).

ثالثاً: مرتكزات عالمية الإسلام ودعائمه:

(1) عالمية الدعوة:

- إن أعظم الأدلة على عالمية الإسلام هو سرعة انتشاره ودخول الكثيرين فيه في العديد من المناطق اعتماداً على قوة الحجة في خطاب الدعوة الإسلامية للفكر الإنساني.
- وأبرز أمثلة هذا الانتشار هو مبادئ ديننا الحنيف التي تبرز عالمية الدعوة تجسداً لوحدة النوع الإنساني، وترسيخاً لمبدأ سواسية الناس في الخلقة، وتحقيقاً لإرادة الله ﷺ في جعلهم شعوباً وقبائل ليتعارفوا ذلك التعارف الذي يقود إلى التعاون والتكامل والسعي إلى التفاضل بالتقوى.

(2) وحدة النوع الإنساني:

- يمتاز الإسلام بنظرته إلى وحدة النوع الإنساني؛ فالناس يشكلون وحدة إنسانية لا تمايز بين شعوبها وأفرادها في الأصل أو الطبيعة أو المصير، والناس جميعاً ينحدرون من أصل واحد: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ)
- هذه النفس الواحدة تعود إلى ذكر أو أنثى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى)، ثم إن هذا الأصل الواحد يعود بعد ذلك إلى أب واحد، ينتسب إلى التراب.
- يقول ﷺ: ((يا أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، وإن أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أبيض، ولا لأبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى)).

(3) وحدة الطبيعة الإنسانية:

- هذه الطبيعة أو الفطرة الواحدة موجودة في الناس جميعاً، وهي التي أكد عليها قول الله ﷻ: (فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ).
- وقد منح الإسلام هوية جديدة للإنسان، وأحدث من أجل استيعاب هذه الهوية أمة جديدة لم يكن لها مثل من بين الأمم.
- لم تقم هذه الأمة على أسس عرقية أو دينية أو لونية، وإنما قامت على أساس الاعتراف بالإنسان، فكان الإسلام دين الإنسان بحق، اعترف بنوازه فاحكم لها ضوابطها.
- بل هو مواطن عالمي، صور الله دخائله ونوازه تصويراً لم تبلغه فلسفات الأرض قديمها ولا حديثها، وبوأه منزلة لم ترق به الأيديولوجيات مبلغها في قوله ﷺ: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا).

(4) مهمة الأمة الإسلامية ووظيفتها:

- الأمة الإسلامية أمة عالمية يجمعها أمر واحد ودين واحد، وتكاليفها واحدة، وهي تحمل أمانة الشهادة على الناس يوم القيامة، قال الله ﷻ: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا).
- ولكن هذه الوحدة البشرية التي جاء بها الإسلام لم تمنح خصوصيات الشعوب، بل اعتبر الله ﷻ التمايز بين الناس لوناً وعرقاً ولساناً آية من آياته ﷻ، كما ورد في الآية الكريمة: (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ).

(5) عالمية الخطاب القرآني للفكر الإنساني:

- إن الخطاب القرآني قد خاطب العقل الإنساني، ودعاه إلى التأمل والتدبير والنظر في آيات كثيرة.
- قال الله ﷻ: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ).
- والآيات القرآنية التي تدعو إلى النظر وإعمال الرأي والتأمل كثيرة، وقد تصل إلى منات الآيات، وهي تحمل تربية عقلية ترقى بمستوى الفكر لمن تدبرها واتبع منهجها.

(6) عالمية القيم:

- والقيم الإسلامية عالمية في ذاتها، مرنة في تطبيقها لأنها استجابة للفطرة السوية، فقيم العدل والتعاون والمساواة وغيرها قيم عالمية في ذاتها، تَوَاضَعَ عَلَيْهَا النَّاسُ واصطلحوا جميعاً، واستحسنها العقل البشري في مختلف الأزمان.
- وهي واضحة في منهجها، مرنة في تطبيقها، تمتاز بالاعتدال والتوسط بين الحقوق والواجبات، وتلائم بين النزعة الفردية والمصلحة الاجتماعية، وتغذي الروح والجسد، وتطمح إلى المثال مع مراعاة الواقع وترسخ الثوابت وتساير التطور.

(7) عالمية الحلول للمشاكل الإنسانية:

- قدم الإسلام حلولاً لمختلف معضلات الحياة في عقيدة واضحة ومنهج بين لا لبس فيه، فداوى القلب، وعالج اليأس، وأذهب الغم، وجعل للحالات النفسية أدوية يلمسها من تفهّم معاني القرآن الكريم وتغيّاً ظلّاله وعاش في رحابه، واقتبس من نور النبوة ما يضيء به مسيرة حياته.

(8) عالمية النظام الاجتماعي:

- أقام الإسلام نظاماً اجتماعياً رانداً، أساسه التكافل، وعماده نسيج اجتماعي متلاحم، فالمؤمنون إخوةٌ تعلو على رابطة النسب.
- قال الله ﷻ: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)، هكذا فالمجتمع مفتوح لكل من أراد الانتماء إليه، لذلك ضم إليه مختلف الأجناس والألوان والطبقات.

مفهوم الروابط البشرية:

- تمثل الروابط البشرية حالة التواصل الفطرية والمكتسبة بين الأفراد والجماعات، وما ينشأ عنها من حقوق وواجبات وعلاقات أدبية من تواد وتراحم وغيرها، هذه الروابط يقوم عليها بنیان المجتمعات وترتبط أفرادها بعضهم ببعض.
- وقد قرر الإسلام مجموعة من المبادئ التي تدعم هذه الروابط وتقويها، من أهمها: الكرامة الإنسانية، والعدالة الاجتماعية، والمساواة بين الناس، والحرية، والوفاء بالعهود والمواثيق، والتعاون على البر، والتسامح مع الآخر.
- (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً).
- وقال ﷻ: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ).
- كما بنى الإسلام علاقة المجتمع الإسلامي بغيره على أساس السلم.
- قال ﷻ: (يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ).
- لأنه في بيئة السلم تقوى العلاقات الاجتماعية، وتنمو الصلات الحميمة بين الناس، ويشعرون بقيمتها وآثارها النافعة.

أنواع الروابط البشرية:

(1) رابطة وحدة الأصل:

- (هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ).
- وقوله ﷻ: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إِنْ أكرمكم عند الله اتقاكم).

(2) رابطة الأسرة والقرباة:

- إن ارتباط الإنسان بأفراد أسرته أباً أو أمّاً أو زوجةً أو أولاداً أو أقارباً وأرحاماً هو ارتباط فطري يقره الإسلام، ويأمر به: (وبالوالدين إحساناً وبذي القربى)، (وأولئنا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله)، (ووصينا الإنسان بوالديه حسناً).
- لكن بالرغم من ذلك فإنها لا تُقدّم على رابطة الإيمان التي يتعين أن تكون غايةً عليا لتواصل المؤمن وعلاقته بغيره، (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ... أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ).

(3) رابطة الدين:

إن غاية الإسلام من رابطة الدين تحرير البشرية كلها من عبودية الأهواء، والارتفاع بها عن أضرار الحقد وشوائب العصبية؛ لتصوغ علاقاتهم الإنسانية صياغة فريدة، قوامها الدين الحنيف، ولحمّتها التناسح والتآزر، وجوهرها الإخلاص وسلامة النفس. (إنّما المؤمنون إخوة)، (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً).

(4) رابطة الميثاق:

لما كانت علاقة السلم هي الأصل في العلاقات الإنسانية، وهي ضمان تحقيق الأمن والسلامة للشعوب والأمم ودفع الظلم عن المستضعفين، فإن العهود التي تُكوّن هذه الرابطة وتقويها يجب احترامها إذا كانت قائمة على العدل والإنصاف واحترام الآخرين والاعتراف بحقوقهم.

- فقد كانت عهود النبي ﷺ عهوداً عادلة، وحرّم الإسلام نقض العهد بعد إبرامه، (الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ).

- وأول من يجب لهم الوفاء بالعهد أهل الذمة المقيمون بيننا، فلهم حق المواطنة.

- قال ﷺ: ((من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة)).

- وقال ﷺ: ((ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه حقه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة)).

المحاضرة الرابعة الاستشراق

عناصر المحاضرة:

- (1) معنى الاستشراق.
- (2) تاريخ الاستشراق.
- (3) مراحل الاستشراق.
- (4) أهداف الاستشراق.
- (5) وسائل الاستشراق وأنشطة المستشرقين.
- (6) آثار الاستشراق على ثقافة المسلمين.

معنى الاستشراق:

- ما معنى هذه الكلمة؟ لو أرجعنا هذه الكلمة إلى أصلها لوجدناها مأخوذة من كلمة شرق ثم أضيف إليها ثلاثة حروف هي الألف والسين والتاء، ومعناها طلب الشرق، وليس طلب الشرق سوى طلب علوم الشرق وأدابه ولغاته وأديانه.
- إن كلمة: ((الاستشراق)) كلمة مُؤَلَّدةٌ وعصرية، ومأخوذة من الفعل: (استشرق)، ومن كلمة: (شرق).
- وقد عرّف صاحب ((معجم متن اللغة)) كلمتي الاستشراق والمستشرقين بقوله: الاستشراق طلب علوم الشرق ولغاتهم، ويسمى من يقوم بذلك: ((مستشرقاً))، وجمعه مستشرقون، وما ينجزونه يسمى: ((استشراقاً)).
- وفي اللغة الإنجليزية تُعرف بي: ((أوريانتياليزم)) ((Orientalism))، كما يعرف المستشرق بي: ((أوريانتياليسيت)) ((Orientalist))، وكلمة الاستشراق وكلمة المستشرق في اللغة الإنجليزية مأخوذة من كلمة: ((أورياننت)) ((Orient)) التي هي بمعنى الشرق، فحقيقة مصطلح كلمة الاستشراق أنها ترجمة لكلمة: ((أورياننتليزم)) ((Orientalism)) التي أدرجت في ((قاموس الأكاديمية الفرنسية)) في القرن التاسع عشر، وبالتحديد في عام ((1838))م.
- أي: إن هذا المصطلح خرج قبل القرن التاسع عشر، وبرز وتحدث عنه عدد من الغربيين، ثم أدرج في ذلك القاموس في القرن التاسع عشر ميلادي.
- ويرى المستشرق (ميكانيل أنجلو جويدي) أن المستشرق الجدير بهذا اللقب هو الذي لا يقتصر على معرفة بعض اللغات التي تتحدث بها الأمم الشرقية وإدراك عاداتها فحسب، بل يجمع إلى ذلك الوقوف على القوى الروحية والفكرية والأدبية التي أثرت في الثقافة الإنسانية.

تاريخ الاستشراق:

- لا يمكن تحديد اسم أول غربي اعتنى بالدراسات الشرقية، ولا في أي وقت، ولكن المتوقع أن رجال الكنيسة في أوروبا هم أول من قصد البلاد الشرقية، ولاسيما الأندلس إبان ازدهارها لدراسة العلوم الإسلامية وترجمة القرآن الكريم والعلوم الأخرى وبخاصة الفلسفة والطب والرياضيات.
- ومن أوائل هؤلاء الراهب الفرنسي: ((جبريت)) الذي انتخب بابا لكنيسة روما عام ((999))م بعد عودته من الأندلس.
- وبطرس المحترم ((1092 - 1156))م، وجيراردي كريمون ((1114 - 1187))م.
- تلك كانت البداية، إلا أن المؤرخين يكادون يجمعون على أن الاستشراق انتشر في أوروبا بصفة نشيطة بعد فترة عهد الإصلاح الديني على يد ((مارتن لوثر)) عام ((1543))م.

مراحل الاستشراق:

- لقد مرَّ الاستشراق بثلاث مراحل، وهي على النحو الآتي:

المرحلة الأولى:

مرحلة استكشاف كُنْه الإسلام وأسباب انتشاره، وحقيقة الفاتحين المسلمين وسر قوتهم العسكرية.
وتعد هذه المرحلة مرحلة موضوعية تبحث عن الحقيقة.

المرحلة الثانية:

وهي مرحلة مشوبة بالعدوان، وتبحث عن العيوب والنقصان في العلوم الإسلامية وبُنية المجتمع، وتوجّه الصليبيين ضد مصالح المسلمين، وتعمل على إثارة الشُّبه حول قضايا الإسلام لإضعاف القناعة به.

المرحلة الثالثة:

وهي مرحلة العدوان السافر.
وقد ظهرت بعد فشل الحملات الصليبية التي كان آخرها الحملة الثامنة بقيادة لويس التاسع الذي لفت أنظار الغرب بعد أسره في المنصورة بمصر إلى الغزو الفكري حين قال: ((لا سبيل إلى النصر والتغلب على المسلمين عن طريق القوة الحربية لأن تدنُّهم بالإسلام يدفعهم للمقاومة والجهاد وبذل النفس في سبيل الله لحماية دار الإسلام وصون الحرمات والأعراض، وأنه لا بد من سبيل آخر وهو تحويل الفكر الإسلامي وترويض المسلمين عن طريق الغزو الفكري)).

- فكانت منعطفاً في تاريخ الاستشراق حوّلتها إلى حرب العقيدة والفكر عن طريق التأليف والمؤتمرات والمجلات ووسائل النشر.

أهداف الاستشراق:

الهدف الأول: هدف علمي (هدف موضوعي):

أقبل نفر قليل من المستشرقين على كتب التراث الإسلامي بهدف الإطلاع على حضارات الأمم وثقافتها ولغاتها ودراستها دراسة موضوعية وجادة رغبة في الوصول إلى الحقيقة العلمية، وقد كانوا أقل من غيرهم خطأ لأنهم فيما يظهر لم يتعمدوا التحريف والدسّ، فجاءت بحوثهم أقرب إلى الصواب والموضوعية من غيرهم، بل إن منهم من اهتدى إلى الإسلام مثل (اللورد هيدلي دانين دينيه) وتسمّى بي: (ناصر الدين دينيه)، ومنهم من كان مُنصفاً في رأيه مثل (أرنست رينان) الذي أنكر ألوهية المسيح ﷺ وأثنى على كتب السيرة النبوية، و(توماس كارلايل) الذي أعجب بشخصية الرسول ﷺ، وعده من الأبطال.

على أن هؤلاء غالباً ما يعتمدون على مواردهم المالية الخاصة بحيث يتمكنون من البحث المجرد عن الهوى أو التأثير الخارجي.

الهدف الثاني: هدف صليبي: وتمثل فيما يأتي:

((1)) الانتصار للصليبية التي اتجهت حملاتها إلى البلاد الإسلامية ثم الاستمرار في القيام بدور الهجوم الفكري على عقيدة الأمة الإسلامية وفكرها بعد فشل هذه الحملات عسكرياً عن طريق تشويه مبادئ الإسلام وقيمه ومصادره وتاريخه.

((2)) التهينة للتبشير بالنصرانية بين المسلمين ليقوم الاستشراق بوظيفة تجهيز المنصرين، وإحاطتهم بواقع العالم الإسلامي، وعيوب المجتمعات الإسلامية، وأماكن تجمعات النصارى المقيمين في البلاد الإسلامية، ومدى تأثيرهم ومساعدتهم لدوائر التنصير بالمعلومات.

((3)) الحاجة إلى العلوم الإسلامية تجاوباً مع الضغط الفكري الذي تتعرض له الكنيسة عن طريق النقد للنظريات والآراء الفلسفية والتاريخية التي كانت تتبناها الكنيسة وتُضفي عليها صفة القداسة؛ مما اضطرها إلى إعادة النظر في شروح الأناجيل لمحاولة تفهمها على أساس التطورات العلمية الجديدة، ولاسيما بعد حركة الإصلاح الديني التي قادها (مارتن لوتر)، ومن هنا اتجهوا إلى الدراسات العبرانية وهذه أدت إلى الدراسات العربية لأن هذه الأخيرة كانت ضرورية لفهم الأولى، ومع مرور الزمن اتسع نطاق الدراسات الشرقية.

الهدف الثالث: هدف دفاعي:

حرص عليه رجال الكنيسة عن طريق الكتابة باللغات المحلية في أوروبا لتشويه صورة الإسلام ووصفه بالوحشية والعداء للشعوب الأخرى، والشدة في الأحكام حتى لا يغتر أبناء أوروبا بالحضارة الإسلامية ولاسيما في عهد ازدهار الحضارة العثمانية وامتداد فتوحاتها إلى قلب أوروبا مما كان محل إعجاب كثير من الأوروبيين وانبهارهم متكرين بذلك للأهداف العلمية.

(1) التأليف:

اتجه عدد كبير من المستشرقين إلى التأليف في موضوعات مختلفة عن الإسلام وعقيدته ورسوله ﷺ وقرآنه والسنة النبوية، وتعمد غالب هؤلاء تشويه صورة الإسلام وإثارة الشبهات حوله؛ ومن هؤلاء:

- **أربري:** وهو مستشرق إنجليزي معروف بالتعصب ضد الإسلام؛ ومن كتبه: ((الإسلام اليوم)) صدر عام 1943م. ((التصوف)) صدر عام 1950م. ((ترجمة القرآن)) صدر عام 1950م.

- **جب:** وهو مستشرق إنجليزي معاد للإسلام، تتسم كتبه بالعمق والخطورة ومنها: ((طريق الإسلام))، ((الاتجاهات الحديثة في الإسلام)) صدر عام 1947م. ((المذهب المحمدي)) صدر عام 1947م.

- **فينسينك:** عدو لدود للإسلام يدعي أن الرسول ﷺ أُلّف القرآن من خلاصة الكتب الدينية والفلسفية التي سبقته، ومن كتبه ((عقيدة الإسلام)) صدر عام 1932م.

(2) الجمعيات والمجلات:

أنشئ في أوروبا عدد من الجمعيات التي تخدم الاستشراق، وتسعى إلى تحقيق أهدافه ابتداءً من عام 1787م؛ حيث أنشئت ((جمعية المستشرقين في فرنسا))، وألحق بها أخرى عام 1820م، وأصدرت ((المجلة الآسيوية))، وفي لندن تأسست جمعية تحت رعاية الملك عام 1823م باسم ((الجمعية الآسيوية الملكية))، وفي أمريكا عام 1842م نشأت ((الجمعية الشرقية الأمريكية))، وصدرت عدة مجلات منها: ((مجلة الدراسات الشرقية)) وكانت تصدر في ولاية ((أوهايو))، ومجلة ((شؤون الشرق الأوسط)) وهي ذات طابع سياسي.

(3) الدوائر المعرفية:

ومن أشهرها: ((دائرة المعارف الإسلامية)) التي كانت تصدر بعدة لغات، وقد استنفر المستشرقون كل قواهم وسخروا كل أعلامهم من أجل إصدار هذه الموسوعة التي تعتمد على الخلط والتحريف والعداوة السافرة لفكر الإسلام.

إلى غير ذلك من المجالات؛ مثل محاولتهم الدخول في الجامعات العلمية العربية كمجمع اللغة العربية بالقاهرة وفي دمشق، كما حاولوا التأثير على مبادئ التربية الإسلامية واستبدال المبادئ الغربية بها.

آثار الاستشراق على ثقافة المسلمين :

(1) أدى الاستشراق إلى إضعاف عقيدة المسلمين.

(2) وتشويه صورة الإسلام لدى أبنائه.

(3) وإشعارهم بتناقض دينهم وقصوره في مواجهة الجديد والمتطور في واقع الحياة، ومقارنة ذلك بالفكر الغربي الذي أظهره المستشرقون في صورة الفكر المتكامل والمتلائم مع الحياة العصرية.

(4) مما أدى إلى انهزام نفسية كثير من المسلمين أمام التيار الجارف من كتابات المستشرقين التي تدسُّ الفكر المنحرف، وتثير الشبهة حول الإسلام.

المحاضرة الخامسة

التنصير

عناصر المحاضرة:

- (1) تعريف التنصير.
- (2) نشأة التنصير.
- (3) بواعث التنصير.
- (4) وسائل التنصير.
- (5) آثار التنصير على ثقافة المسلمين.

تعريف التنصير:

(1) في اللغة: كلمة التنصير مأخوذة من نصره أي: أدخله في النصرانية، وجعله نصرانياً، ومنه قول الرسول ﷺ: ((ما من مولود إلا يولد على الفطرة؛ فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه)).

وقيل: سميت بالنصرانية نسبة إلى مدينة الناصرة بفلسطين، وقد مؤه المستشرقون لما سموا التنصير بالتبشير لإخفاء غايتهم منه، وهي الدعوة إلى النصرانية؛ إذ تسميته بالتبشير مأخوذة من البشارة، وهي الخبر الذي يفيد السرور، ويظهر أثره الحسن على بشرة الإنسان.

(2) في الاصطلاح: هي الجهد المبذول بصفة فردية أو جماعية في دعوة الناس إلى النصرانية، ويطلق أيضاً على ما تقوم به المنظمات الدينية من تعليم الدين النصراني ونشره.

نشأة التنصير:

- يعود تاريخ التنصير كدعوة إلى مبتدأ دعوة المسيح ﷺ إلى توحيد الله ﷻ وإلى إصلاح ما أفسده بنو إسرائيل في شريعة موسى ﷺ.
- قال ﷺ: (وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ).
- إلا أن النصارى مع تقادم العهد بالمسيح ﷺ، وابتعادهم عن تعاليمه انصرفوا عن التوحيد، وبدلوا الشريعة التي أمروا باتباعها، وأعادوا كتابة الإنجيل بما يتوافق مع أهوائهم، ونسبوا ما ادعوه من تحريف في التوحيد وتبديل في الشريعة إلى الله زوراً وبهتاناً.
- قال ﷺ: (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ).
- إلا أن دعوة المسلمين إلى النصرانية لم تعرف بالتأثير والنشاط المدعومين إلا بعد فشل الحملات الصليبية التي استمرت منتي سنة من الحروب الدامية، تمكن النصارى خلالها من الهيمنة على بيت المقدس.
- ثم استردها المسلمون من أيديهم في معركة حطين عام (583هـ - 1188م) بقيادة القائد صلاح الدين الأيوبي.
- وما تبع هذه المعركة من هزائم شنيعة للنصارى دفعهم إلى إيقاف هذه الحملات، واتباع مسلك آخر في مواجهة المسلمين، هو الغزو الفكري.
- ويذكر أن القسيس (فرانس) من أوائل النصارى الذين وصلوا إلى العالم الإسلامي، فقد وصل إلى مصر عام ((616هـ - 1219م)).
- كما أرسل القديس (فرانسيس) عدداً من المنصرين إلى مراکش بالمغرب.
- كما قدم (ريمون لول) الراهب الأسباني عام (693 هـ 1294م) إلى البابا خطة لتنصير المسلمين بعد أن أتقن اللغة العربية في مدارس الأندلس بكل مشقة، وجال في بلاد الإسلام وناقش علماء المسلمين.
- وغيرهم من القساوسة الذين اتجهوا إلى بلدان العالم الإسلامي لتنصير أبناء المسلمين.
- وبرز التنصير بعد ذلك نشاطاً للكنائس حينما أرسلت عدداً من إرسالياتها المتعددة إلى الهند وجزائر السند والشرق العربي لتنصير المسلمين.

- ففي عام (1209هـ - 1795م) بدأ نشاط جمعية التنصير المعمدانية في بنغلاديش، وفي عام (1258هـ - 1843م) أسست الجمعية التنصيرية (أخوات القديس يوسف) مدرسة للبنات بتونس.
- وفي عام (1285هـ - 1868م) أسست (جمعية الآباء البيض للسيدة العذراء) في شمال أفريقيا لتنصير المسلمين.
- وفي عام (1309هـ - 1892م) وصل القس (صمونيل زويمر) إلى البحرين ليتخذها مركزاً للتنصير في منطقة الخليج العربي.
- وهكذا تتابعت الإرساليات وتلاحقت، وشملت بقاعاً واسعة في البلدان الإسلامية.

بواعث التنصير:

- أولاً: الباعث الديني:** يستند المنصرون في دعوتهم الناس إلى النصرانية على تفويض إلهي - بزعمهم - ورد في إنجيل (متى) بتنصير الناس ينسب إلى المسيح ﷺ في قوله للحواريين: ((اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الأب والابن وروح القدس)).
- وواقع حال التنصير أنه تحول من دعوة لإنقاذ المسلم من الضلال إلى وسيلة إفساد تعمل إلى إخراج المسلم من دينه ليكون ملحداً.
- يقول (زويمر) في مؤتمر القدس عام 1935م: ((مهمة التنصير التي نَدْبَتُكُمْ دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية؛ فإن في هذا هداية لهم وتكريماً، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله)).
- ثانياً: الحقد الصليبي:** منذ انتشر الإسلام وظهر على الدين كله وأهل الكتاب يضمرون العداوة للإسلام وأهله، وزاد الأمر كراهية بعد اتساع نفوذ الدولة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وسيطرتها على الشام ومصر التي ينظر إليها الصليبيون على أنها تابعة لهم على أساس أنها كانت جزءاً من ممالك الدولة الرومانية، وامتدادها في عهد العثمانيين إلى شرق أوروبا وجنوبها.
- وهو ما عبر عنه المنصر الألماني (بيكر) في قوله: ((إن الإسلام لما انبسط في العصور الوسطى أقام سداً في وجه انتشار النصرانية، ثم امتد إلى البلاد التي كانت خاضعة لصولجانيها)).
- وزاد حقد النصارى بعد ارتدادهم على أديارهم مهزومين إثر الحروب الصليبية التي دامت قرنين، مما ولد في نفوسهم آلاماً صعب عليهم نسيانها ففرغوها في مخططات التنصير التي تسعى إلى تحويل المسلمين عن دينهم ولو إلى الإلحاد وتعمل على بسط النفوذ الغربي عن طريق تلاميذ التنصير والمُعْتَرِّين بحضارة الغرب، وهذا ما أبدته ألسنتهم؛ كما قال ﷺ: ((قَدْ بَدَتِ الْبَعْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ)).
- يقول المنصر (جون تاكلي): يجب استخدام أمضى سلاح ضد الإسلام لنقضي عليه تماماً.
- ويقول المنصر (روبرت ماكس): لن نتوقف جهودنا وسعينا في تنصير المسلمين حتى يرتفع الصليب في سماء مكة، ويقام قداس الأحد في المدينة...
- **ثالثاً: الباعث السياسي:** حقق الغرب عن طريق التنصير نفوذاً سياسياً في العالم الإسلامي، بدأ مع الاستعمار حين اعتمدت سياسة الدول الاستعمارية على جهود الرهبان والمبشرين، فكثيراً ما كان المنصرون يتولون مناصب سياسية وعسكرية ويستترون بالتنصير، ويعملون على حض حكوماتهم على بث المبشرين في العالم.
- ساهم التنصير والاستشراق في تقديم النصح والمعلومات للدول الاستعمارية الغربية التي رأت في احتلال الدول الإسلامية ما يحقق أهدافها التوسعية التي تؤمن حاجتها من الأيدي العاملة للعمل في المصانع وبناء البنية التحتية، ومن المواد الخام المعدنية والزراعية التي تتطلبها مصانعها الحديثة، ومن الأسواق لمنتجاتها الكثيرة.
- ومن ثم صارت الحكومات الاستعمارية مُعِيناً للمنصرين في الدول الإسلامية التي خضعت لسيطرتهم عرفاناً بجميلهم، كما وجد المنصرون في هذا العون ما يحقق هدفهم وهو إعادة مملكة المسيح، كما يظهر من قول المنصرين اليسوعيين لما مارسوا نشاطهم في ظل الحكومات الاستعمارية: ((نحن ورثة الصليبيين رجعتنا تحت راية الصليب لنستأنف التسرب التنصيري، ولنعيد مملكة المسيح)).
- الأمر الآخر أن التنصير كان عاملاً مهماً في كسر كل دعوة إلى الوحدة الإسلامية التي يحن إليها المسلمون بعد سقوط الخلافة العثمانية.
- لقد أبرز (لورنس براون) هذا الموقف في صورة واضحة حين قال: ((إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً، أو أمكن أن يصبحوا نعمة أيضاً، أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير)).

وسائل التنصير:

أولاً: التنصير المباشر: يقوم به فرد أو مجموعة من المبشرين المتفرغين لهذه الوظيفة ممن توظفهم الكنيسة وعاظاً لنشر النصرانية، ويعتمد هذا النوع على الإقناع الفردي والوعظ العام في الكنائس أو الأماكن العامة لتعريف الناس بالمسيح وحياته وتعاليمه.

ثانياً: وسائل التنصير المساعدة: يُفَصِّدُ بها التنصير عن طريق مجالي التعليم والعلاج والخدمة الاجتماعية والإعلام.

- أما وسيلة التعليم فتُعد من أنجح الوسائل لنشر النصرانية، ويتم ذلك عن طريق إنشاء مدارس للمراحل الأولى، والتي غالباً ما يدرس فيها المنهج النصراني والفكر العلماني، ويتعلم فيها أبناء عليّة القوم الذين يتوقع لهم التأثير في واقع مجتمعاتهم مستقبلاً، كما امتد نشاط المبشرين إلى التعليم العالي فافتتحت كليات تنصيرية.

- أما العلاج فهو الوسيلة الفعالة في المجتمعات الإسلامية لإقناع الناس بحاجة المجتمع إلى المنصرين لاسيما في المجتمعات الفقيرة المتخلفة التي تمارس فيها التعاويذ والتمايم كوسيلتي علاج.

- ولإيجاد روح الاعتراف بالجميل والعرفان للمعاملة الطيبة التي قدمت لهم، وحقق المبشرون منها كسر حدة التحامل عليهم وبناء قناة اتصال بهم.

آثار التنصير على ثقافة المسلمين:

- ((1)) إخراج المسلمين من دينهم وإدخالهم في النصرانية كما حدث في تنصير بعض المناطق الإسلامية في إفريقيا وشرق آسيا.
- يوضح ذلك المنصر (رايد) حيث يقول: ((إنني أحاول أن أنقل المسلم من محمد إلى المسيح، وإن كان النصراني لم يحققوا في سبيل تحقيق هذا الهدف نجاحاً كبيراً يتناسب مع الجهد المبذول إلا أنهم نجحوا في إحداث ردة بين المسلمين وإضعاف ولاء كثير منهم لدينهم، وتلك كانت غاية أخرى للمنصرين)).
- ((2)) إضعاف قوة المسلمين بإضعاف صلتهم بدينهم؛ فإن المنصرين أدركوا أن تمسك المسلمين بدينهم هو سر قوتهم.
- يقول المنصر (جاردنر): ((إن القوة التي تكمن في الإسلام هي التي تخيف أوروبا، كما أن الإسلام العائق الأول أمام تقدم انتشار النصرانية في دول العالم)).
- ((3)) تفريق كلمة المسلمين والحيلولة دون وحدتهم وتخلصهم من سيطرة الغرب عليهم.
- يعبر عن هذا المنصر القس (سيمون) في قوله: ((إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب الإسلامية، وتساعد على التملص من السيطرة الأوروبية، والتبشير عامل مهم في كسر شوكة الحركة؛ من أجل ذلك يجب أن نحول بالتبشير اتجاه المسلمين عن الوحدة الإسلامية)).
- ((4)) تغريب المسلمين في بلادهم عن طريق التعليم الذي اعتنى به التنصير لإيجاد أجيال تنتمي إلى الإسلام اسماً، وتحمل فكر الغرب حقيقة، وتمارس عاداته بعيداً عن تعاليم الإسلام وأحكامه.
- يقول (تاكلي): ((يجب أن نشجع إنشاء المدارس على النمط الغربي العلماني لأن كثيراً من المسلمين قد زرع اعتقادهم بالإسلام والقرآن حينما درسوا الكتب الغربية، وتعلموا اللغات الأجنبية)).

المحاضرة السادسة

الاستعمار

عناصرُ المُحاضرة:

- (1) تعريف الاستعمار.
- (2) تاريخ الاستعمار.
- (3) أهداف الاستعمار.
- (4) آثار الاستعمار الثقافية.

تعريفُ الاستعمار:

(1) في اللغة: فرض السيادة على الأرض واستغلالها.

(2) في الاصطلاح: سيطرة دول الغرب على دول الشرق - أي: العالم الإسلامي - بقصد الاستيلاء على خيراته والسيادة على أهله وتوجيه كل ذلك لخدمة مصالحهم.

تاريخ الاستعمار:

- كان أول من نادى بالحروب الصليبية على المسلمين (البابا أوربان الثاني) الذي تولى كرسي البابوية سنة 1088م، ومهد لهذه الحروب، وحشد لها الجموع من رجال الدين والساسة والعامّة، وأجج نارها في أصقاع أوروبا.
- وقد امتدت ما يقرب من تسعة قرون منذ الحملة الصليبية الأولى على العالم الإسلامي التي قادها بطرس الراهب سنة (491هـ - 1097م) وتمكن من السيطرة على الأراضي المقدسة في بلاد الشام، إلى الحملة الصليبية الثامنة بقيادة لويس التاسع سنة 652 - 1249م. الذي أسر في معركة المنصورة سنة 1250م. ونبه إلى عدم جدوى الصّدام العسكري مع المسلمين في ذلك الحين ونادى بالغزو الفكري لعقيدتهم وأخلاقهم وفكرهم.
- وقد استطاعت الحروب الصليبية التي استمرت زهاء قرنين في المشرق استنزاف جميع القوى البشرية والمادية في منطقة الشام ومصر، وفرض سيادتها على أجزاء من البلاد الإسلامية منها بيت المقدس وما حوله من الأراضي المباركة.
- يقول (شتر): ((جهد الصليبيون طوال قرنين لاستعادة الأرض المقدسة من أيدي المسلمين المتعصبين، فكان عهد الحروب الصليبية من أجل ذلك وأروع العهود في العصور الوسطى كلها، ولكن ذلك الجهد قد خاب وتراجعت الحملة الصليبية أمام سدود عتيدة من التعصب الإسلامي)).
- وبعثت الحملات الصليبية بالفشل، وارتدت على أعقابها خائبة، ولم تلبث الأمة أن تولت قيادتها الدولة العثمانية التي حفظت العالم الإسلامي من أخطار محاولة الغزو العسكري الغربي؛ بل عملت على توسيع رقعة البلاد الإسلامية ونشر الإسلام في أوروبا، حتى تمكنت من فتح القسطنطينية قلعة الدولة الرومانية الشرقية
- وقد سيطرت الدول الأوروبية على العالم الإسلامي على النحو الآتي:
- (1) بريطانيا: استعمرت ماليزيا وشبه القارة الهندية وساحل الخليج العربي واليمن ومصر والسودان وجزءاً من الصومال وأريتريا وقبرص ونيجيريا، وبعد الحرب العالمية الأولى أضافت إليها العراق والأردن وفلسطين.
- (2) فرنسا: استعمرت مالي وتشاد والسنغال وموريتانيا والمغرب والجزائر وتونس وجيبوتي، وبعد الحرب العالمية الأولى أضافت إليها سوريا ولبنان.
- (3) إيطاليا: استعمرت ليبيا وجزءاً من الصومال.
- (4) روسيا: استعمرت تركستان والأراضي الإسلامية في الأورال وحوض نهر الفولجة وشبه جزيرة القرم وبلاد القوقاز إلى شمال إيران.
- (5) إسبانيا: استعمرت الرّيف المغربي والصحراء المغربية.
- (6) هولندا: استعمرت أندونيسيا.

- وقد استخدمت الدول الاستعمارية كل ما لديها من وسائل القوة لمواجهة كل من يقاومها، ويعيق سيطرتها على العالم الإسلامي، وتحقيقها أهدافها الصليبية التي صرح بها عدد من قادة الدول الاستعمارية.
- منهم (النبي القائد العسكري الإنجليزي) الذي قال في خطبته لما دخل القدس: (الآن انتهت الحروب الصليبية).
- وعندما دخل الجنرال (غورو القائد العسكري الفرنسي) دمشق طلب أن يدلوّه على قبر صلاح الدين الأيوبي رحمه الله؛ فلما وقف على قبره ركله بقدمه قائلاً: (ها قد عدنا يا صلاح الدين).

أهداف الاستعمار :

- (1) هدف صليبي (هدف للكنيسة):** يحقق ما عجزت عن تحقيقه الحملات الصليبية إبان القرن الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، وهو السيطرة على البلاد الإسلامية وانتزاع بيت المقدس من المسلمين والذي كانت الدول الغربية في القرن التاسع عشر الميلادي تسعى إليه.
- (2) هدف سياسي (يتعلق بالدول والحكام أنفسهم):** نشأ عن التنافس بين الدول الغربية في السيطرة على المواقع الاستراتيجية ومناطق الثروات المعدنية والزراعية وبسط النفوذ على أكبر قدر من المساحة، ونظراً لما تتمتع به البلاد الإسلامية من موقع استراتيجي يقع في وسط العالم ويتصل بالقارات الثلاث.
- (3) هدف اقتصادي:** نتج عن الثورة الصناعية التي نشأت في أوروبا في الثلث الأخير من القرن الثامن عشر الميلادي، وفي القرن التاسع عشر الميلادي زاد الإنتاج زيادة هائلة فاحتاج أصحاب المصانع إلى المواد الخام والقوى العاملة كما احتاجوا إلى الأسواق لتصريف منتجاتهم، ولم تتمكن الدول الأوروبية من سد تلك الحاجات كلياً مما دفعها إلى الاستعمار للحصول على المواد الخام وفتح أسواق جديدة أمام منتجات صناعتها، فكان العالم الإسلامي هدفاً.

(4) هدف عدائي: يعود إلى ما انطوت عليه قلوب النصارى من حسد وبغض للأمة الإسلامية التي ناصبوا العداء منذ نشأتها، وعملوا على القضاء عليها بشتى الوسائل العسكرية والفكرية عن طريق الحملات الصليبية ثم الاستشراق والتنصير، ويعد الاستعمار حلقة أخرى في سلسلة حلقات العداء المتتالية.

قال ﷺ: (وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَأَعْغُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [البقرة: ١٠٩].

- لذا فإن الدول الاستعمارية سعت إلى مسح الإسلام من قلوب المسلمين والاستخفاف به ويعلمانه بوسائل مباشرة وغير مباشرة، وتغريب الأمة وتعطيل أحكام الإسلام ومحاصرة التعليم الديني ومحاربة كل المظاهر المتصلة بالإسلام، وإخماد كل الحركات الإصلاحية الداعية إلى الوحدة الإسلامية أو إلى العودة إلى الإسلام من جديد.

آثار الاستعمار الثقافية :

- (1) تغريب العالم الإسلامي:** فقد كان الغرب يسعى في مستعمراته، وفي مناطق نفوذه إلى نشر ثقافته بين المسلمين، وحملهم عليها.
- (2) إحياء النعرات القومية؛** كالطورانية في تركيا والفرعونية في مصر والبابلية في العراق والآشورية والفينيقية في الشام، والبربرية في شمال إفريقيا، والقومية العربية وتشجيعها لتكون بديلاً عن الفكر الإسلامي وإشغال الأمة بتمجيدها والافتخار بها، مع تجهيل المسلمين بتاريخهم الإسلامي المجيد.
- (3) زرع أسباب الفتنة والخلاف بين المسلمين** مثل مشاكل الحدود بين البلاد الإسلامية.
- (4) حماية الإرساليات التنصيرية ودعمها للقيام بعملها وتحقيق أهدافها وتبرير إفسادها لعقائد المسلمين.**

المحاضرة السابعة

التَّغْرِيبُ

عناصرُ المُحاضرة:

- (1) تعريف التَّغْرِيبِ.
- (2) تاريخ التَّغْرِيبِ.
- (3) أهداف التَّغْرِيبِ.
- (4) وسائل التَّغْرِيبِ.
- (5) آثار التَّغْرِيبِ.

تعريف التَّغْرِيبِ:

(1) في اللغة: مصدر من غَرَّب، يقال: غرب في الأرض؛ أي: سافر سافراً بعيداً، أو اتجه نحو الغرب.

(2) في الاصطلاح: إعادة صياغة ثقافة العالم الإسلامي وفق ثقافة الغرب وحضارته.

والتَّغْرِيبُ يعد تياراً فكرياً ذا أبعاد سياسية واجتماعية وفنية، يهدف إلى إلغاء شخصية المسلمين الخاصة، وجعلهم أسرى الثقافة الغربية.

تاريخ التَّغْرِيبِ:

- ظهرت بدايات التأثير بمظاهر الحضارة الغربية في أواخر عهد الخلافة العثمانية عندما أرادت تطوير جيشها على وفق النظام الأوروبي، فقد أمر السلطان محمود الثاني عام 1826م العسكريين بلبس الزي العسكري الأوروبي.

- كما استقدم السلطان سليم الثالث المهندسين من السويد وفرنسا والمجر وانجلترا وذلك لإنشاء المدارس الحربية والبحرية.

- واتخذ التَّغْرِيبُ اتجاهاً آخر لنشر أفكاره وحمل الناس على تبني مفاهيمه عن طريق إنشاء مدارس الإرساليات التنصيرية بلبنان ومصر التي كانت مفتوحة لأبناء المسلمين للتعليم وفق منهج التعليم الغربي.

- وكان نصارى الشام من أوائل من اتصل بالإرساليات التنصيرية، وسارع إلى تلقي الثقافة الفرنسية، كما أظهروا إعجابهم بالغرب، ودعوا إلى السير على طريقه.

وقد ظهر ذلك جلياً في مقالاتهم التي كتبوها في الصحف التي أسسوها وعملوا فيها مثل صحيفة الجنان والمقتطف في بيروت، وجريدة المقطم والأهرام التي رأسوا تحريرها في القاهرة.

- وعن طريق التشجيع على البعثات إلى أوروبا؛ فقد قام محمد علي والي مصر بابتعاث عدد من خريجي الأزهر إلى أوروبا من أجل التخصص، وتوسع في ذلك الخديوي إسماعيل بهدف جعل مصر قطعة من أوروبا.

- وقد أثر التيار التغريبي في فكر كثير من القادة والمفكرين، وتمكن من إعادة صياغة مفاهيمهم وفق الثقافة الغربية حتى ظن هؤلاء أن التقدم الذي حققه الغرب عائد إلى تصوراتهم ومفاهيمهم وأسلوب حياته البعيدة عن الدين مما دفعهم إلى الدعوة إلى اللحاق بالحضارة الغربية والاندماج في ثقافة المجتمع الغربي.

أهداف التَّغْرِيبِ:

(1) نقض عرى الإسلام وإبعاد المسلم عن دينه: لقد كان الهدف إضعاف شأن الإسلام في نفوس المسلمين، وإزاحته من قلوبهم وحياتهم، وقطع صلتهم بمصادره ولاسيما القرآن الكريم. يقول (الماريشال بيار ليوتي) قائد جيش الاحتلال الفرنسي في المغرب: (يجب أن نبعد سكان المغرب عن كل ما يطلق عليه لفظ الإسلام، ولا نترك القرآن يثبت في أذهانهم).

وكذلك تجهيل المسلمين باللغة العربية حتى تنقطع صلتهم بالقرآن الكريم والسنة النبوية ومؤلفات السلف من علماء المسلمين.

يقول الحاكم الفرنسي للجزائر في ذكرى مرور مائة على الاحتلال: (إننا لن ننتصر على الجزائريين ما داموا يقرؤون هذا القرآن، ويتكلمون العربية، فيجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم، ونقتلع اللسان العربي من أفواههم).

ويقول (وليم جيفورد بالكراف): (متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا أن نرى العربي حينئذ يتدرج في سبيل الحضارة التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه).

(2) تفتتت الوحدة الإسلامية: سعى الغرب إلى إيقاظ النعرة العنصرية وصرف المجتمعات الإسلامية عن الإسلام بصفته عاملاً لوحدهم، وكان المدعو (توماس إدوارد لورنس براون المسمى: بلورنس العرب) يقول: (أخذت طول الطريق أفكر ... وأتساءل: هل تتغلب القومية ذات يوم على النزعة الدينية؟ وهل يغلب الاعتقاد الوطني الاعتقاد الديني؟ وبمعنى أوضح، هل تحل المثل العليا السياسية مكان الوحي والإلهام، وتستبدل سورياً مثلها الأعلى الديني بمثلها الأعلى الوطني؟) وكما يصرح (لورنس العرب) في قوله: (أهدافنا الرئيسية تفتتت الوحدة الإسلامية ...).

(3) إقصاء أنظمة الحكم والإدارة والتعليم المستمدة من الإسلام، وإحلال الأنظمة الغربية مكانها: ولتحقيق هذا الهدف تم تسليم مواقع التأثير المتمثلة بالحكم والإدارة وسدة التعليم في البلاد الإسلامية للمبهرين من المسلمين بالحضارة الغربية، المتخلفين بأخلاق أوروبا لأنهم أقدر على إحداث تغيير يتفق مع الثقافة الغربية.

يقول (كرومر) المندوب البريطاني في مصر: (إن المسلم غير المتخلف بأخلاق أوربية لا يصلح لحكم مصر).

كما أكد أن المستقبل الوزاري سيكون للمصريين المتربين تربية أوربية؛ ... إن المتفرنجين من المصريين ... أصلح الناس للتعاون مع الإدارة الانجليزية).

(4) إعادة بناء فكر المسلمين على أساس تصورات الفكر الغربي ومقاييسه، ومحاكمة الفكر الإسلامي وفق هذه التصورات والمقاييس بهدف سيادة الحضارة الغربية.

وقد أثمرت هذه المحاولة بكثرة التناول للقضايا والمفاهيم، وتنوع الأساليب حتى أحدثت انقلاباً فكرياً في تصورات الطلائع المثقفة من المسلمين ومفاهيمها.

وتمكنت من عزلهم أو تحييدهم عن مواجهة هذه المحاولة؛ بل انجرف بعضهم مع التيار التغريبي فصاروا يهاجمون دينهم، ويسخرون منه. وكان هذا إيذاناً بقيام مدرسة فكرية جديدة تنطلق مما جاءت به الحضارة الغربية من أفكار وفلسفات ونظريات في ميادين الحياة.

(5) صبغ حياة المسلمين في جميع جوانبها ومرافقها بصبغة الحضارة الغربية، وتغيير عاداتهم بما يتوافق مع عادات المجتمعات الغربية، ولا بأس ببقاء الانتماء إلى الإسلام اسماً في حين يستسلم الواقع في كل مظهره للفكر الغربي مما أدى إلى إيجاد مجتمعات إسلامية تتعامل وفق العادات والتقاليد الغربية.

وكان من مظاهر ذلك:

الاختلاط بين الجنسين وإلغاء الحجاب عن المرأة، والتخلي بالآداب الغربية في التحية والطعام واللباس ونحو ذلك.

وسائل التغريب:

(1) الوسائل المباشرة:

تم تكريس التغريب بشكل مباشر بعد إخضاع غالب البلدان الإسلامية لسلطان الحكم العسكري والسياسي والثقافي الغربي، والقضاء على هويتها الذاتية وتوجيهها الوجهة الغربية.

أرعى الاحتلال للمنصرين العنان، فصاروا يسرحون ويمرحون، ويستخدمون كل الوسائل لتنصير المسلمين أو تحقيق ردتهم، ومكنهم من بناء الكنائس والمدارس والمستشفيات لتحقيق أغراضهم.

كما دعم المستشرقين وسهل مهمتهم لجمع المعلومات عن الشرق الإسلامي ونشر مطبوعاتهم المغرضة بهدف تشويه صورة الإسلام في نفوس أهله.

كما أسس المدارس المدنية التي تمجد الفلسفة الغربية وتجهل المسلمين بدينهم ولغتهم وتاريخهم، وأفسح المجال للأقليات غير المسلمة لتعمل ضد وحدة المسلمين.

وأدخل القوانين الأوروبية وأقصى العمل بالشرعية في المحاكم.

وشجع على نشر الإباحية والعادات والموضات الغربية.

وغير ذلك مما قام به الاحتلال الأوروبي لتغريب الشعوب الإسلامية ولم يزل العالم الإسلامي يعاني من آثارها المدمرة لهويته وثقافته الإسلامية.

(2) الوسائل غير المباشرة:

((أ)) تقديم الخبرة والمشورة: اتخذ من تقديم الخبرة والمشورة غطاءاً للتدخل في السياسات والأوضاع الداخلية للعالم الإسلامي عن طريق السفراء والقناصل والخبراء الذين يعدون طلائع للتغريب في كثير من البلدان الإسلامية كما يظهر من عملهم، وتحديث مؤسسات الدولة على النمط الغربي.

((ب)) تجهيل المسلمين بلغتهم ونشر اللغات الغربية بينهم: اللغة العربية الفصحى هي لغة القرآن والسنة النبوية والتراث الإسلامي ولغة الصلاة وشعائر الإسلام، لها أثر كبير في توحيد المسلمين على اختلاف أجناسهم وبلدانهم لذلك كانت غرضاً مباشراً للتغريب من أجل تجهيل المسلمين بتعاليم دينهم وصرفهم عنها.

فقد تم محاصرة تعليم اللغة العربية الفصحى في حلقات المساجد ومدارس التعليم الديني وتقليص تدريسها في المدارس المدنية والدعوة إلى الاستغناء عنها باللغة العامية التي تمثل مجموعة من لهجات تختلف من بلد إلى آخر.

وكذلك عمد أصحاب التيار التغريبي إلى التوسع في تعليم اللغات الأوروبية لتكون نافذة لتسرب الثقافة الغربية إلى عقولهم وحياتهم.

((ج)) إنشاء المدارس المدنية: اتخذ التغريب من التعليم في البلدان الإسلامية وسيلة في صرف الناشئة عن انتمائهم الأصلي، وتزويدهم بالأفكار والثقافة الغربية، وتوجيههم نحو الولاء للحضارة الغربية.

يقول اللورد (لويد) المندوب البريطاني على مصر في خطبته التي ألقاها في كلية فكتوريا بالإسكندرية عام (1345هـ - 1926م): (ليس من وسيلة لتوطيد الرابطة بين البريطانيين والمصريين أفعال من كلية تعلم الشبان من مختلف الأجناس المباديء البريطانية العليا ... فيصيروا قادرين أن يفهموا أساليبنا ويعطفوا عليها ... وينمو فيهم من الشعور الانجليزي ما يكون كافياً لجعلهم صلة للتفاهم بين الشرقي والغربي). ولخطورة هذه الوسيلة وقوة تأثيرها سارع الاحتلال إلى استثمار التعليم ورسم سياسته نحو تحقيق أهداف التغريب.

((د)) تحرير المرأة: إن المرأة نظراً لمكانتها وتأثيرها القوي في الحفاظ على ثقافة المجتمع الإسلامي ونقل مكوناتها إلى الناشئة وتربيتها على مبادئ الإسلام وقيمه فقد كانت هدفاً لدعاة التغريب الذين دعوا إلى سلخ المرأة عن دينها ودعوها إلى محاكاة المرأة الغربية ومجاراتها في العادات والتقاليد باسم تحرير المرأة، وطالبوها بخلع حجابها ومخالطة الرجال الأجانب في ميادين التعليم والعمل، كما دعوا إلى إباحة زواجها بالكفار ومنع تعدد الزوجات وتقييد الطلاق وإيقاعه في المحاكم، وكان النصراني المتعصب (فهيم مرقص) أول من طرح هذه المطالب، وذلك عام 1894م في كتاب له سماه (المرأة والشرق).

ومن المؤسف أن المرأة المسلمة التي كانت تنعم بكرامتها وحقوقها استخدمت باسم التحرير والتطور مصيدة لجمع المال، ومطية لتحصيل المتعة، ووسيلة للدعاية التجارية.

((ه)) السيطرة على الصحافة والاعلام: التي كانت تعمل على تطوير الإسلام وإيجاد تفسير جديد له يخدم أهداف التغريبيين، ويقوي الصلة بهم، وهذا التطوير كان خطراً خفياً انقادت له مجتمعات المسلمين دون إدراك لوجه الخطر فيه.

ولا غرابة في الاهتمام بالصحافة فهي كما يقرر (جب) أقوى أدوات التغريب، وأعظمها نفوذاً في العالم الإسلامي، ولا سيما أن مديريها ينتمون في معظمهم إلى من يسميهم التقدميين؛ ذلك أن معظم الصحف واقعة تحت تأثير الآراء والأساليب الغربية.

((و)) تطوير الفكر الإسلامي: مع بداية القرن العشرين تحول اهتمام المستشرقين في دراساتهم نحو تطوير الفكر الإسلامي، وهي دراسات موجّهة هادفة، تساهم في تطور السياسة الاستعمارية في البلاد الإسلامية، واتجاهها إلى التغريب.

وهذا ما يوضحه (سميث) في كتابه: (الإسلام في التاريخ الحديث) الذي صدر عام 1957م من أن الإسلام يجتاز مرحلة تحول وتغير خطيرة، وأن دراسة هذا التطور تعني المسلمين لكي يشاركوا في تطوير حياتهم مشاركة واعية، ويرى أن ذلك ضرورياً لترويج مفاهيم التحرر والعلمانية والعالمية في العالم الإسلامي.

آثار التغريب:

استطاعت حركة التغريب التغلغل في كل بلاد العالم الإسلامي، وترك بصماتها على كل مظاهر الحياة، والتأثير في فكر المجتمع الإسلامي وسلوك أفرادها، وقد تفاوت حجم التأثير من بلد إلى آخر وكان من أبرز هذه الآثار ما يأتي:

- (1) زعزعة اعتقاد المسلم ودفعه إلى ترك الالتزام بأحكام الإسلام.
- (2) تكريس التبعية للغرب في كل توجهات المسلمين وممارساتهم.
- (3) منع تطبيق الشريعة الإسلامية.
- (4) إعاقة العمل نحو الوحدة الإسلامية.
- (5) إلغاء بعض عادات المجتمع الإسلامي وقيمه وإحلال بعض عادات الغرب وقيمه مكانها.

المحاضرة الثامنة العولمة الثقافية

عناصر المحاضرة:

- (1) مقدمة.
- (2) تعريف العولمة.
- (3) نشأة النظام الجديد (العولمة).
- (4) دوافع العولمة.
- (5) العولمة الثقافية.
- (6) معالم العولمة الثقافية الغربية.
- (7) أخطار العولمة الثقافية.

مقدمة:

يزداد الاهتمام العالمي يوماً بعد يوم على مستوى الدول والشعوب بموضوع العولمة ومظاهرها المختلفة.

ويكاد هذا الموضوع أن يستحوذ على مساحة كبيرة من الرأي والفكر والحوار والنقاش في وسائل الإعلام والمؤتمرات والندوات الدولية والإقليمية.

وهذا يعني أن العولمة من القضايا الساخنة والمثيرة التي تشغل بال كثير من العلماء والمفكرين في الوقت الحاضر، وتجعلهم يتطلعون إلى الإسهام في توضيح حقيقتها وتجلية غموضها وكشف خباياها والإجابة عن ما يثار حولها من تساؤلات واستفهامات، والتعرف على آثارها المستقبلية.

وإذا كانت العولمة قد برزت في مظهرها الاقتصادي والإعلامي فإنها الآن في مرحلة ترسيخ المظهر الثقافي الذي يعد أكثر صعوبة وحساسية من المظاهر الأخرى.

تعريف العولمة:

- (1) في اللغة: كلمة عولمة مصدر قياسي على وزن فوعلة مشتق من الفعل الرباعي عولم من العالم، مثل حوقل حوقلة، وهي كلمة تدل على التغيير والتحول من حال إلى حال.
- (2) في الاصطلاح: العولمة مصطلح جديد، له عدة مرادفات، هي الكوكبية والكونية الشاملة والحدائثة.

هذا المصطلح لم يكن له وجود قبل منتصف عقد الثمانينات الميلادية من القرن الماضي؛ إذ إنه قبل هذا التاريخ لم يكن له حضور خاص. بل إن معجم (إكسفورد) للكلمات الإنجليزية الجديدة أشار إليه لأول مرة عام 1991م واصفاً إياه بأنه من الكلمات الجديدة التي برزت خلال التسعينات.

ومع هذا التداول المتزايد لا بد من الاعتراف بأن العولمة من حيث الواقع تمثل ظاهرة سياسية واقتصادية وثقافية؛ بل واجتماعية غير محددة المعالم، وغير مجمع على صورتها، ولا مجمع على هيمنتها.

ولكن يراد لها أن تكون سمة هذا العصر، ومصير الشعوب، وهو ما يمكن استقراؤه من خلال إمعان النظر في تعريفات العولمة الآتية:

(1) هي: اتجاه الحركة الحضارية نحو سيادة نظام واحد، تفوقه في الغالب قوة واحدة.

(2) هي: استقطاب النشاط السياسي والاقتصادي في العالم حول إرادة مركز واحد من مراكز القوة في العالم.

(3) هي: تحويل العالم إلى قرية واحدة يتحكم فيها نظام رأسمالي واحد، يلزمها بالتخلي عن ديانتها وقيمها وحضارتها شرطاً لتحقيق النجاح في مجال تنمية الاقتصاد والسوق وجودة الأسعار.

نشأة النظام الجديد (العولمة):

بعد انتهاء الحرب الباردة بين القطبين أمريكا والاتحاد السوفييتي التي دامت أكثر من 45 سنة حدد الرئيس الأمريكي بوش الأب في عام 1991م. إطار هذا النظام في خطابه الذي ألقاه أمام قوات التحالف في الكويت بعد انتصارها في حرب الخليج الثانية قانلاً: (إننا نرى الآن ظهور نظام عالمي جديد عالم تصبح فيه الأمم المتحدة بعد تحررها من الطريق المسدود للحرب الباردة قادرة على تحقيق الرؤية التاريخية لمؤسسيها، عالم تحترم فيه جميع الأمم الحرية وحقوق الإنسان).

لعل الرئيس بوش كان يقصد من تحقيق الرؤية التاريخية قيام وحدة عالمية تتجاوز أسباب الصراع، وتستبعد عوامل التناقض بين الشعوب؛ وهذا يقتضي التساؤل:
علام تقوم هذه الوحدة؟
إن كثيراً من المفكرين والمحللين يرون أنها ستقوم على أساس سيادة النموذج الرأسمالي.

دوافع العولمة:

((1)) ظهور الثورة التقنية التي سميت بالثورة الصناعية الثالثة، وتمثلت في التقدم الصناعي الغربي الهائل، ولاسيما في مجال الاتصالات والمعلومات والفضاء والحاسب الآلي والإلكترونيات الدقيقة والهندسة الوراثية.

((2)) تحرير التجارة الخارجية بين الدول عن طريق رفع القيود عن النشاط الاقتصادي وإبرام الاتفاقيات الدولية التي سعت إلى فتح الأسواق العالمية أمام التجارة العالمية، وإزالة كل القيود والحواجز أمام التجارة الدولية.

((3)) قيام شركات كبرى متعددة الجنسيات، متنوعة النشاطات متميزة بضخامة نشاطها وإيراداتها ومبيعاتها، تمتلك أرصدة ضخمة وإمكانات مادية هائلة وقوة إنتاج واسعة.

استطاعت هذه الشركات أن تفرض نفسها على الواقع الاقتصادي بحيث تعجز الدول من أن تحد من تأثيرها.

((4)) تنامي القوة العسكرية الغربية ولاسيما بعد سقوط الاتحاد السوفيتي في عام 1991م وقد سبقه في عام 1989م تحول الدول الأوروبية الشرقية من النظام الاشتراكي إلى النظام الاقتصادي الغربي، واتباعها لسياسات الانفتاح على أسواق الدول الغربية وعلى الفكر الغربي.

ولا ريب في أن هذه الظروف أسهمت في إظهار الدول الغربية على أنها قوة عالمية واحدة، تقود نظاماً جديداً يسعى إلى نشر نمط الحياة الفكرية الغربية بكل مفاهيمها ونظمها وقيمها بين المجتمعات.

العولمة الثقافية:

إن الثقافة ذات خصوصية؛ إذ إن لكل أمة من الأمم مبادئ وقيماً ومفاهيم تمثل شخصيتها الظاهرة، وتعبر عن نظرتها للحياة، وتتم عن تصورهما للوجود، فنحرص على استمرارها والمحافظة عليها.
وحيثما نستعرض سلسلة الأحداث الكبيرة التي غيرت تاريخ العالم من اشتعال حروب وقيام دول وحركات فكرية ونهضات علمية نجدها جميعها تهدف إلى اقتلاع فكرة وإحلال فكرة أخرى مكانها.

وتمثل ظاهرة العولمة في الوقت الحاضر إحدى الحلقات الجديدة في هذه السلسلة الممتدة، والتي يمكن القول بأن العولمة الثقافية أحد وجوهها وأكثرها تميزاً، وأعظمها خطراً، وهي تعني إلغاء ثقافات الشعوب المترابطة والموروثة لتحل محلها ثقافة النظام الواحد عن طريق الوسائل الحديثة المستخدمة من أجل إحداث التحول المطلوب.

إن المرحلة القادمة من الجهود الغربية المبدولة في التحول العالمي ستتجه نحو الاهتمام بالعولمة الثقافية نظراً للعناية المتزايدة من الدول الغربية وبعض الدول الشرقية التي تسير في ركابها كاليابان بثقافة المعلومات والمعرفة العلمية نتيجة لما تحقق من تطور صناعي سريع ومذهل في العلم وتقنية ووسائل الاتصال والإلكترونيات.

إن العولمة في اتجاهها الفكري تطمح إلى صياغة ثقافة كونية شاملة، تغطي مختلف جوانب النشاط الإنساني، فهناك اتجاه صاعد يضغط في سبيل صياغة نسق ملزم من القواعد الأخلاقية الكونية.

وإن هذه الثقافة مهما استخدمت في صياغتها من صبغة علمية ومعرفية فإنها كما يراها عبد الوهاب المسيري صيغت داخل التشكيل الحضاري والسياسي الغربي، فهي تحمل معالم هذا التشكيل، وتودر في إطار العلمانية الشاملة التي تدعو إلى إنكار القيم وتأكيد النسبية المعرفية والأخلاقية.

معالم العولمة الثقافية الغربية:

تبرز معالم تأثير هذه العولمة على العالم وعلى العالم الإسلامي بصفة خاصة في الوقت الحاضر فيما يلي:

((1)) التذويب الكلي أو الجزئي للهوية الثقافية: تسعى العولمة إلى التذويب الكلي أو الجزئي للهوية الثقافية ذات الخصوصية الشديدة لدى المجتمعات.

وإذا كانت العولمة تستهدف هذا التذويب، وتعمل على انهيار هذه الثقافات وذوبانها فإن هذا يعني أن الثقافة بما فيها ثقافتنا الإسلامية ستعرض لمواجهة شديدة تعكس سلباً على مجتمعنا المتمسك بجذوره الثقافية، وستكون هذه الثقافة في محك الامتحان.

((2)) العمل على إبراز الثقافة الغربية بما تشتمل عليه من مفاهيم وقيم وقناعات ومواقف إنسانية مشتركة وعابرة لكل المناطق الحضارية، وفرضها على ما سواها من الآراء والأفكار على أساس أنها الثقافة البديلة.

(3) استغلال المؤسسات الاقتصادية والوسائل الإعلامية والنشاط السياحي لترويج الفكر الغربي داخل المجتمعات بطريق غير مباشر، فقد أصبحت المؤسسات الاقتصادية القائمة وسائل إلى للاحتكار والتعامل بالفائدة وتجاهل مشاعر الفقراء والمحتاجين وتنمية الفوارق بين فئات المجتمع وتعظيم صورة المال في النفوس والقضاء على الملكيات الصغيرة وتحويل الناس إلى عمال لفئة قليلة من ملاك رؤوس الأموال والشركات الكبرى.

أخطار العولمة الثقافية:

قد يصعب حصر الأخطار التي تنشأ عن العولمة بصفة عامة؛ بل قد يطول الحديث عن أخطارها الثقافية، ولكن يمكن الاقتصار على أهمها، وهي:

(1) تغييب المبادئ الدينية والخلقية تحت وطأة تأثير الفكر الغربي والنظريات المنحرفة عن الدين والقيم، ومصادرة الانتماءات الدينية عدا الانتماء إلى النصرانية، الذي لا نجد في حركة العولمة الغربية ما يدل على الإلزام بالتخلي عنه لأنه يعد نوعاً من أنواع الحرية الشخصية في الفكر العلماني الغربي؛ ذلك أن واقع الدول الغربية التي تروج للعولمة، وتسعى إلى فرضها على الشعوب عن طريق مصادرة الانتماء الديني لم تزل على رغم علمانيتها تسير على الخط المسيحي في توجيهها العام.

(2) فرض التأقلم مع الحضارة الغربية وذوبان فيها: ذلك أن العولمة ليست محصورة في الاقتصاد وحرية التجارة الدولية التي تعد المحرك الرئيس لها، وليست مجرد وسائل تنقل العقائد والقيم والنظم بشكل سريع يمكن لكل أمة الاستفادة منها في ترسيخ عقائدها وقيمتها ونظمتها، وليست فكرة خاضعة لحرية الفرد أو حريات الشعوب بحيث يأخذ كل واحد ما يريده منها، ويدع ما لا يريد، وإنما هي تأقلم وذوبان مع معطيات الحضارة الغربية بخيرها وشرها.

(3) إخضاع القيم والأخلاق لقانون فكرة العصرية والنسبية: ذلك أن العولمة الغربية لا تؤمن بأي قيم ثابتة، ولا تعترف بوجود كليات ملزمة؛ بل تتجاوز العقائد والموروثات والقيم الأصيلة إلى ما تقتضيه السيولة الفكرية التي تقوم عليها فكرة العصرية والنسبية من التطور وعدم الثبات وقبر كل قديم وثابت من الأخلاق والقيم.

الموقف من العولمة الثقافية:

مضت سنة الله ﷻ في حصول التدافع بين الناس والصراع بين البشر، وتمثل ظاهرة العولمة أحد صورهِ الحديثة. قال ﷻ: (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ) [البقرة: ٢٥١]؛ هذا التدافع يستلزم أن يتم بين طرفين مختلفين؛ لكن لا يستلزم أن يرفض أحدهما ما عند الآخر كلياً.

وعلى الخصوص لا يصح أن يقبل ما عنده كلياً لأن القبول يتنافى مع معنى التدافع المقتضي للرفض ولو جزئياً.

إن اتخاذ المسلمين موقفاً من العولمة في ظل التدافع القائم بين الحضارات، ولاسيما مع الدول الغربية التي تقود هذه العولمة يحتاج إلى حكمة ووعي، فليس القبول المطلق للعولمة التي تفرضها هذه الدول على الشعوب الإسلامية صائباً، وليس رفض العولمة جملة صحيحاً أيضاً لأنه مناف للحكمة، ويعرض الشعوب الإسلامية لضرر أكبر.

يتعين على المسلمين رفض الانسحاق مع العولمة فيما يتعارض مع دينهم وهوية أمتهم وإثبات خصوصيتها نظراً لأن العولمة تستهدف صهر الأمم والمجتمعات في بوتقة واحدة هي بوتقة الحضارة الغربية وعلى الخصوص الحضارة الأمريكية.

إن استثمار المسلمين لما يمتلكونه من عقيدة صحيحة لهما من أقوى العناصر المؤثرة في قلوب المجتمعات والشعوب؛ ذلك أن الخواء الروحي المنقشي بين الناس وطغيان المادية المتسلطة وانتشار الأمراض الفتاكة الناشئة من فساد الأخلاق وغياب القيم، وروج المخدرات بين الأفراد، وابتذال الجنس لهما من أهم الظواهر الفكرية والاجتماعية التي تعاني منها شعوب العالم، ويعالجها الإسلام مخلصاً هذه الشعوب من شرورها، وواقعية الإسلام وعنايته بمصلحة الإنسان وبكل متطلبات تكوينه هي من أهم ما يساعد على سرعة انتشاره بالرغم من جاذبية المدنية الغربية المادية التي ابتليت مجتمعاتها بهذه الظواهر السيئة.

كما أن التأييد المطلق للعولمة الثقافية بحجة أن الانفتاح على الثقافات الأخرى أصبح من سمات العصر، وأن الرفض المطلق لن يعني فتيلاً في إيقاف المد الغربي الثقافي الزاحف على العالم الإسلامي هو نوعٌ من الاستسلام الرخيص المتجاهل لطبيعة الدين الإسلامي والمتغافل عن تاريخ الأمة الإسلامية وثقافتها.

إن الموقف السليم يقتضي رفض العولمة الثقافية الغربية التي لا تؤمن بغير قيمها، وتريد تدوير ثقافتنا الإسلامية، ورفض كل ما يخالف ديننا وقيمنا الشرعية، ورفض كل ما يمسح شخصيتنا أو يبدل هويتنا.

ويقتضي ألا نكتفي بمجرد الرفض وحده؛ بل لا بد أن نكون إيجابيين في الموقف بحيث ننبنى نهج المواجهة لعولمة المسخ الثقافي أو العدوان الثقافي، وهذا يتطلب منا التشبث بهويتنا الثقافية الإسلامية ذات الخصائص المستمدة من عقيدتنا وديننا.

المحاضرة التاسعة الحوار

عناصرُ المُحاضرة:

- (1) تعريف الحوار وأهميته.
 - (2) أهداف الحوار.
 - (3) الأصول التي تضبط مسار الحوار.
 - (4) دعوة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة إلى الحوار.
 - (5) الدعوة الإسلامية واستخدام الحوار.
 - (6) منطلقات الحوار من منظور إسلامي.
 - (7) حوار الحضارات: مفهوم حوار الحضارات وأهدافه.
- ✓ مجالاته.
- ✓ شروط نجاح حوار الحضارات.

مُقدِّمة:

- تردد لفظ الحوار في العقود الأخيرة في محافل شتى، ووصفت به أنواعٌ متباينة من العلاقات لا يستطيع المراقب أن يقول: إنها كلها كانت مجاوبة تؤدي إلى النفع العام للمحاورين - أفراداً وجماعات - بل كان بعضها كذلك، وكان بعضها الآخر محاولة من القوي لفرض رأيه وثقافته، ونظرته إلى الكون والناس والأشياء.

وهذا ما يدعونا إلى تناول هذا الموضوع ((الحوار)) بالتحليل والمناقشة حسب الخطة المذكورة.

تعريف الحوار وأهميته:

تعريف الحوار:

* الحوار في اللغة من الحور وهو: الرجوع عن الشيء إلى الشيء؛ ويقصد به: المراجعة في الكلام.

* والجدال: من جدل الحبل إذا قتلته، أطلق على من خصم بما يشغل عن ظهور الحق ووضوح الصواب، ثم استعمل في مقابلة الأدلة لظهور أوجهها.

* وبين الجدال والحوار فرق؛ فالحوار مراجعة الكلام وتبادلته بين المتحاورين وصولاً إلى غاية مستنداً إلى أنه يجري بين صاحبين أو اثنين ليس بينهما صراع، ومنه قوله ﷺ: (قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ).

- وأما الجدال فأكثر وروده في القرآن الكريم بالمعنى المذموم كقوله ﷺ: (وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ). وهذا الجدال حوار لا طائل من ورائه.

* ولكن جاء الجدال أيضاً محموداً في مواضع كقوله ﷺ: (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)، وقوله ﷺ: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)؛ فالجدال بالتي هي أحسن مرادف للحوار الإيجابي البناء.

* ويجمع بين الحوار والجدال معنى تطارح الرأي والأخذ والرد وقد جمعهما قوله ﷺ: (قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ).

* ويراد بالحوار والجدال في مصطلح الناس: مناقشة بين طرفين أو أطراف، يُقصد بها تصحيح كلام، وإظهار حجة، وإثبات حق، ودفع شبهة، وردُّ الفاسد من القول والرأي.

أهمية الحوار:

* يكتسب الحوار أهمية بالغة في منظومة الدعوة الإسلامية؛ فهو أسلوب أصيل من أساليب الدعوة ومعلم بارز في منهجها الرشيد.

* وللحوار دوره الكبير في تأصيل الموضوعية.

* والحوار قديم قدم البشرية فهو نابع من أعماق النفس البشرية.

* ومما ورد في القرآن الكريم الحوار الذي كان بين آدم وزوجه وهما في الجنة، وكذلك ما أمر الله به الملائكة من السجود لآدم لما خلقه.

قال ﷺ: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدَّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ).

أهداف الحوار:

* وهي كل ما يحقق الخير والصلاح والأمن والسلام والرخاء والطمأنينة للناس كافة.
* وفي اللفظ القرآني ((التعارف)) ما يُغني ويفيد ويقوي ويزكّي هذه المعاني جميعاً.

قال ﷺ: (يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا).

فالتعارف هنا يتسع ليشمل التعاون والتعايش، وكلّ ضروب العمل الإنساني المشترك لما فيه الخير والمنفعة لبني البشر. وهو هدفٌ سامٍ من أهداف الحوار.

* وينبغي أن تبدأ أهداف أي حوارٍ من الإنسان وتدور حول شؤونه وقضاياها، وتعود إليه؛ لنلا يفقد الحوار قيمته وأهميته ومضمونه الغني.
* وهذه الأهداف من الكثرة بحيث يتعذر حصرها، ولكن يمكن إجمالها فيما يلي:

- (1) معرفة أطروحات الطرف الآخر ووجهات نظره وحججه في القضايا التي هي موضوع الحوار، وتعريف الطرف الآخر بما يغيب عنه أو يلتبس عليه من المعلومات ووجهات النظر والبراهين في القضايا التي هي موضوع الحوار.
- (2) العمل على إقناع الطرف الآخر ليتخلص من وجهات نظره ومواقفه كلياً أو جزئياً في القضايا التي هي موضوع الحوار ليتقبلها ويعمل على تبنيها بعد اقتناعه بها سواء بعد الحوار مباشرة أو تدريجياً على المدى الطويل.
- (3) العمل على استكشاف ما لدى الطرف الآخر من حقائق وإيجابيات والاعتراف بها وقبولها والاستفادة منها طالما لأن الحكمة ضالة المؤمن؛ أنى وجدها فهو أولى بها.
- (4) العمل على استكشاف ما عند المحاور من معلومات غير صحيحة أو دقيقة ومما في وجهات نظره أو مواقفه من ثغرات وأخطاء والعمل على تداركها وإصلاحها.
- (5) تشييد جسر للتواصل السلمي البناء وسد الطريق أمام المواجهات والمصادمات مما يبدد الجهود.
- (6) يساعد الحوار على التوقد الذهني وهي صفة ملازمة لأجواء التحدي الفكري والحوار المتبادل.
- (7) قد يؤدي الحوار إلى إيضاح الحقيقة بالإضافة إليها، فيعطي كل فرد ما يعرف من أجزاء الحقيقة حتى يمكن تركيبها كاملة وحتى صاحب الحق فإن أجزاء من الحق تبرز له بصورة أوضح أثناء توقده الذهني في لحظات الحوار.
- (8) إحباط حجج المتطرفين والمتعدين؛ فكثير من حوارات كبار علماء الإسلام مع الفرق الضالة كشفت زيف أفكارهم وذلك ما سجلته كتب تراثية خالدة كـ: ((الملل والنحل)) للشهرستاني، و((الفصل بين الملل والأهواء والنحل)) لابن رشد، و((الرد على الجهمية)) لابن تيمية، و((الصواعق المرسلّة)) لابن القيم، و((المسألة القاديانية)) للمودودي، وغيرها.
- (9) إقامة الحجة: الغاية من الحوار إقامة الحجة ودفع الشبهة والفساد من القول والرأي، والسير بطرق الاستدلال الصحيح للوصول إلى الحق.
- (10) الدعوة: الحوار الهادئ مفتاح للقلوب وطريق إلى النفوس. قال ﷺ: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ).
- (11) تقريب وجهات النظر: من ثمرات الحوار تضيق هوة الخلاف، وتقريب وجهات النظر، وإيجاد حل وسط يرضي الأطراف في زمن كثر فيه التباغض والتناحر.
- (12) كشف الشبهات والرد على الأباطيل؛ لإظهار الحق وإزهاق الباطل كما قال ﷺ: (وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ).

الأصول التي تضبط مسار الحوار:

الأصل الأول: إرادة الوصول إلى الحق: فلا بد من التجرد في طلب الحق، والحذر من التعصب والهوى، وإظهار الغلبة والمجادلة بالباطل. يقول الإمام الغزالي عند ذكره لعلامات طالب الحق: ((أن يكون في طلب الحق كناشد ضالة، لا يفرّق بين أن تظهر الضالة على يده، أو على يد من يعاونه، ويرى رفيقه معيناً لا خصماً، ويشكره إذا عرفه الخطأ وأظهر له الحق)).

الأصل الثاني: تحديد الهدف والقضية التي يدور حولها الحوار؛ فإن كثيراً من الحوارات تتحول إلى جدل عقيم ليس له نقطة محددة ينتهي إليها.

الأصل الثالث: الاتفاق على أصل يرجع إليه؛ والمرجعية العليا عند كل مسلم هي الكتاب والسنة، والضوابط المنهجية في فهمهما؛ وقد أمر الله ﷺ بالرد إليهما فقال: (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ).

فالاتفاق على منهج النظر والاستدلال قبل البدء في أي نقاش علمي يضبط مسار الحوار ويوجهه نحو النجاح؛ إذ إن الاختلاف في المنهج سيؤدي إلى الدوران في حلقة مفرغة لا حصر لها ولا ضابط.

الأصل الرابع: عدم مناقشة الفرع قبل الاتفاق على الأصل: فلا بد من البدء بالأهم من الأصول وضبطها والاتفاق عليها، ومن ثم الانطلاق منها لمناقشة الفروع والحوار حولها.

دَعْوَةُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ إِلَى الْحوَارِ:
ليس أدل على ذلك من ورود مبادئ للصيغ البيانية في القرآن الكريم:

ولا غرو فالقرآن الكريم كله بيان وهدى للناس، بل هو قمة البيان وذروة البلاغة؛ ومن ذلك:

(1) ورود السياق القرآني الجليل مصدراً بصيغة الأمر ((قُلْ)) المشعرة بأن الداعية ينبغي أن يصدع بالحق وأن يتخذ من القول المبين والحجة البالغة منهاجاً وغاية؛ كما في قوله ﷺ في تقرير التوحيد: (قُلْ أَعْبُدُوا اللَّهَ تَعَالَى وَابْتَغُوا الْوَسِيلَةَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَاتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ دُجَانًا وَمَا يَشَاءُونَ يُشْرِكُونَ بِهِ لَعَلَّكُمْ يُهْتَدُونَ). وقوله ﷺ: (قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلِ افْتَخَرْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ نَفَعًا وَلَا ضَرًّا).

* وفي الرد على المشركين: (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرْنَا وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا تَعْمَلُونَ * قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ * قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أُحَقِّقُ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ).

* وفي الرد على منكري النبوة: (قُلْ إِنَّمَا أَعْطُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِيَلٍ مُنْتَهَىٰ وَأَنْ تَقُولُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ * قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * قُلْ إِنْ رَبِّي يَفْعَلُ بِالْحَقِّ عَلامَ الْغُيُوبِ * قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِّئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ * قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ).

(2) وقد يأتي الأسلوب القرآني الجليل على شكل تعليم الحوار: ومثاله قوله ﷺ: (وَقَالُوا أَيُّدَا كُنَّا عِظَامًا وَرَفَاتًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا * قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا * أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا).

(3) صيغة ((يستفتونك)) ويأتي عقبها فعل الأمر: ((قُلْ)): (يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ).

(4) وصيغة ((يسألونك)) ويأتي عقبها فعل الأمر: ((قُلْ)): وقد وردت ((15)) مرة؛ منها قوله ﷺ: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ).

وهذا يتضمن فيما يتضمنه التوجيه بتعلم صيغ الجدل والحوار ومعرفة متى يتكلم الداعية وكيف وبماذا وغيرها مما هو من مؤهلات الدعاة. استخدام الحوار في الدعوة الإسلامية:

* وفي مجال الدعوة إلى الله نجد أن الإسلام ينبذ العنف لأن الدعوة الإسلامية تستهدف البدء بتغيير النفس وإعادة صياغة الإنسان. قال ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ).

وتغيير ما بأنفسهم وما بداخلهم لا يتأتى بالإكراه أو العنف لأن العنف يؤدي إلى النفاق، فإذا استعملت العنف في الدعوة أكرهت الآخرين، فأنت تكسب بذلك منافقاً لا مؤمناً لأنك تكسب الظاهر، أما الداخل أو الباطن فلا يظهر، ومن هنا كانت وما زالت الحكمة والموعظة الحسنة، والحوار والجدال بالتي هي أحسن سبيل الدعوة.

* فالحوار والمجادلة بالتي هي أحسن من أبرز وسائل الدعوة إلى الله وهي علامة على وسطية الأمة: (وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ).

وقد كان رسول الله ﷺ يحاور الناس ويبحث عن من يقبل دعوته، واستخدم ﷺ الوسائل المتعددة لتبليغ الرسالة ومنها الحوار.

وقال ﷺ: (قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)، وقال ﷺ: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)؛ أي: من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب.

مَنْطَلَقَاتُ الْحَوَارِ مِنْ مَنْظُورِ إِسْلَامِيٍّ:

* ما دام الحوار الراقي هو مظهراً حضارياً يعكس تطور المجتمع ونضج فئاته الواعية فإنه لا بد أن يستند إلى أسس ثابتة، وضوابط محكمة، وأن يقوم على منطلقات أساسية يمكن حصرها في ثلاث، هي:
(1) الاحترام المتبادل. (2) الإنصاف والعدل. (3) نبذ التعصب والكرهية.

(1) الاحترام المتبادل: وفي رؤيتنا الإسلامية الحضارية فإن الاحترام المتبادل بين الأطراف المتحاوره هو المنطلق الأول الذي يجب أن يركز عليه الحوار، وهذا يفترض وجود قواسم مشتركة تكون إطاراً عاماً وأرضية صلبة للحوار.

ولنا في القيم الدينية والمبادئ الإنسانية والقواعد القانونية عناءً لجميع الفرقاء المشاركين في الحوار على أي مستوى كان، وهي جميعاً قيم ومبادئ تحكم علاقات البشر، وتضبط مسار حركاتهم وسكناتهم، وتضع القواعد الثابتة للتعامل فيما بينهم.

(2) الإنصاف والعدل: ولنا في قوله ﷺ: (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ) قاعدة ثابتة، وهداية دائمة؛ فالعدل هو أساس الحوار الهادف الذي ينفع الناس ويمكث أثره في الأرض.

إن العدل هو روح الشريعة الإسلامية، وهو جوهر القانون الوضعي، وهو الأساس الراسخ الذي يقوم عليه القانون الدولي الذي يجب أن يسود المجتمعات البشرية كلها؛ ولذلك فإن العدل والإنصاف في مفهومنا الإسلامي هو الشرعية الحضارية التي ينبغي أن تكون منطلقاً للحوار؛ أيّاً كان مستواه، ومهما تكن أهدافه.

(3) نبذ التعصب والكرهية: ونجد أصلاً لهذه القاعدة في قوله ﷺ: (لَا يَنْهَأُكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ).

والتوجيه القرآني هنا يرقى من مستوى نبذ التعصب والكرهية إلى مقام أرفع؛ وهو البرُّ بالناس كافة، ومعاملتهم بالقسط جميعاً.

والبرُّ هو الإحسان بكل دلالاته الأخلاقية واللغوية؛ وتتلو قوله ﷺ: (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا).

جَوَارُ الْحَضَارَاتِ:

* دعت منظمات عديدة لحوار الثقافات في الثمانينيات من القرن العشرين ثم انتهى هذا الحوار إلى أوراق في كتب نشرت عن لقاءاته، لكنها لم تثمر تغييراً ثقافياً حقيقياً ملموساً حتى الآن.

* وحين ترددت في أرجاء الكون الثقافية والسياسية صيحة الكاتب الأميركي صامويل هنتنغتون عن ((صراع الحضارات))، أو صدامها كان البديل العاقل المحتمل لها هو الحديث عن حوار الحضارات، والدعوة إليه، والعمل على إنجابه لتجنب البشرية ويلات الصراع، ولتحاشي آثار الصدام المولمة أو المدمرة.

* وحوار الحضارات مطلب إسلامي عبّر عنه كثير من المفكرين المسلمين، بل ردوا به على تحليلات صامويل هنتنغتون الخطيرة والمخيفة.

مَفْهُومُ جَوَارِ الْحَضَارَاتِ وَأَهْدَافُهُ:

* حوار الحضارات هو التشاور والتفاعل الثقافي بين الشعوب، والقدرة على التكيف مع الأفكار المخالفة والتعامل مع جميع الآراء الثقافية والدينية والسياسية.

تتعدد أهداف الحوار الحضاري، ومنها: التعارف والتواصل وكذا التفاعل والاحتكاك الحضاري.

مَجَالَاتُ الْحَوَارِ الْحَضَارِيِّ:

المجال الديني: يتجلى في الحوار بين الإسلام وباقي الديانات.

المجال السياسي: هو الحوار بين مختلف التيارات السياسية.

المجال الاقتصادي: هو التعاون الاقتصادي بين الدول في مختلف الأنشطة الاقتصادية.

المجال العلمي والفكري: يتجلى في التبادل المعرفي وتبادل الأفكار.

شُرُوطُ الحِوَارِ الحَضَارِيِّ:

لا يحقق حوار الحضارات نجاحه المبتغي، ولا يصل إلى هدفه المنشود ما لم تتوافر له شروط هذا النجاح ومقومات تحقيق هذا الهدف. **أولاً: الاعتراف بالآخر:** أول الشروط التي لا يتم الحوار أصلاً دون توافرها هو أن يكون كل من طرفي الحوار أو أطرافه معترفاً بالآخر وبالأخرين؛ فالحوار يقتضي قبولاً مبدئياً على الأقل بوجود الآخر، وبحقه في هذا الوجود، وبخصوصيته التي لا يجوز لأحد أن يسعى إلى تغييرها، وبمقومات استمرار بقائه مغايراً ومتميزاً، وبحقه في المحافظة على هذه المقومات وتوريثها في أجياله المتعاقبة جيلاً بعد جيل.

- وفي القرآن الكريم الأمر الصريح بأن سبب اختلاف الخلق (شعوباً وقبائل) هو تيسير التعارف بينهم: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليمٌ خبير).
* والتعارف يقتضي تقارباً بين المتعارفين، وتسليماً متبادلاً باختلاف كل منهما عن الآخر، ولا يستمر الأمر بالتعارف مطاعاً إلا إذا استمر

التغاير والاختلاف بين الناس المخاطبين بهذه الآية الكريمة قائماً.

* فأبناء الحضارة الإسلامية، والداعون إلى مشروعها الاجتماعي في عصرنا يسلمون بمقتضى هذا الشرط الأول من شروط نجاح حوار الحضارات، ولا يظلمون من أبناء الحضارات الأخرى إلا أن يكون لهم الموقف نفسه؛ وإلا فإن الحوار سيصبح حديثاً من طرف واحد، أو محاولة كل طرف غزو الطرف الآخر ودحره، وهكذا يعيش العالم صراعاً وصدماً، ولا يعيش حواراً ولا تعارفاً.

ثانياً: التبادل الحضاري: أي: بأن يكون لكل طرف من أطرافه حق قول رأيه وبيان موقفه من القضايا التي يجري الحوار حولها مهما كان هذا الرأي أو الموقف مخالفاً لما يعتقد أو يفعله، أو يدعو إليه ويدافع عنه الآخرون.

والحوار في اللغة العربية على صيغة (فعال)، وهي جمع فعل؛ أي: إنه لا يتحقق بفعل طرف واحد، وإنما بأفعال أطراف متعددين.

والحضارات المتباينة الحية تملك كل منها مقومات خاصة بها، ويرأها أصحابها صواباً نافعاً، وقيمة الحوار بينها تبدو في تعرف أبناء كل منها على الأخرى كما يراها أصحابها، لا كما تراها أعين الغرباء عنها؛ رضاً كان ما تظهره هذه العين أم سخطاً، نقصاً كان أم كمالاً، جزئياً كان قاصراً أم كلياً شاملاً.

ثالثاً: التجدد والتعدد: لأن الإحاطة بجوانب التميز والتغاير، ثم الاستفادة منها في تبادل الخبرة والمعرفة ووسائل النمو والترقي لا يتم في جلسة أو عدة جلسات ولا يحيط به فرد أو مجموعة أفراد، ولكنه يحتاج إلى تواصل مستمر يتعدد المشاركون فيه بتعدد جوانب الحياة وتكاثر التخصصات فيها حتى يوتي ثمرته ويحقق غايته.

رابعاً: الثقافة: من شروط نجاح حوار الحضارات واستمراره أن يكون محوره الثقافة التي تعبر عنها الحضارات المختلفة، والنشاط البشري الذي تتمثل فيه هذه الثقافة.

ومن معاني هذا الشرط وضروراته أن تستبعد من الحوار بين الحضارات موضوعات العلاقات السياسية، والتبادل الاقتصادي، والاختلاف الديني.

المحاضرة العاشرة الإرهاب

عناصرُ المُحاضرة:

تمهيد.

تعريف الإرهاب.

الإرهاب في الماضي والحاضر.

موقف الإسلام من الإرهاب.

موقف المملكة العربية السعودية من الإرهاب.

مُقَدِّمة:

* احتلت ظاهرة الإرهاب في الوقت الحاضر موقع الصدارة من اهتمام الباحثين؛ نظراً لاتساع دائرتها، وانتشارها في معظم أنحاء العالم؛ مما اقتضى بذل مزيد من الجهود العلمية في دراستها وتحليلها للتعرف على أسبابها ووسائل علاجها.

* لذا كانت ومنذ أربعة عقود مبعث قلق المجتمع الدولي عبّرت عنه الجمعية العامة للأمم المتحدة بقرارها رقم ((3034)) الصادر في 1972/12/18م. حيث أوصت الدول الأعضاء فيها بالبحث عن حلول عادلة وسليمة تسمح بإزالة الأسباب المؤدية إلى أعمال العنف.

* وفي الوقت الحاضر ازداد الاهتمام بهذه الظاهرة بسبب تنامي الأعمال الإرهابية، وتباين أشكالها.

تعريف الإرهاب:

(1) في اللغة: مشتق من الفعل الثلاثي (رَهَبَ)؛ أي: خاف، والرهبه في أصل اللغة تعني الخوف والفرع.

وقد ظهرت كلمة رعب (Terreur) لأول مرة في اللغة الفرنسية عام 1355م وجاءت من اللغة اللاتينية (Terreor) التي تعني الخوف والقلق المتناهي الذي يساوي تهديداً غير مألوف وغير متوقع بصورة واسعة.

(2) في الاصطلاح: يصعب وضع تعريف جامع مانع نظراً لاختلاف نظرة الدول والمجتمعات إلى هذه الظاهرة وتشعبها وتنوع بواعثها وأهدافها، واختلاف الأطر المرجعية والقانونية التي يستند عليها في التعريف.

وبسبب عدم الاتفاق على تعريف اصطلاحى محدد كثرت التعريفات؛ لذا نكتفي منها بتعريف قانوني وآخر شرعي يوضحان المقصود به:

* عرفه مجلس وزراء الداخلية العرب بأنه: (كل فعل من أفعال العنف أو التهديد به أيّاً كانت بواعثه أو أغراضه يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم بإيذائهم أو تعريض حياتهم أو حريتهم أو أمنهم للخطر أو إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق أو الأملاك العامة أو الخاصة أو احتلالها أو الاستيلاء عليها أو تعريض أحد الموارد الوطنية للخطر).

* وعرفه المجمع الفقهي في مكة المكرمة بأنه: (العدوان الذي يمارسه أفراد أو جماعات أو دول بغياً على الإنسان في دينه وعقله ودمه وماله وعرضه، ويشمل صنوف التخويف والأذى والتهديد والقتل بغير حق وما يتصل بصور الحرابة وإخافة السبيل وقطع الطريق وكل أفعال العنف أو التهديد).

الإرهاب في الماضي والحاضر:

- الإرهاب ليس جديداً في تاريخ الشعوب والمجتمعات، بل عرفته البشرية منذ تاريخها القديم؛ فهو ظاهرة قديمة ابتدأت بالإقدام على قتل النفس البرينة حين استباح قابيل قتل أخيه هابيل ظلماً وعدواناً فكان من النادمين.

ويمكن عد الإرهاب المتمثل في قتل الأبرياء والاعتداء على الممتلكات وتدمير المنجزات الإنسانية والحضارية من قبيل التطرف العملي.

- ومن الظواهر القديمة الغلو أو التطرف الديني الذي كان متفشياً في بني إسرائيل كما أخبر ﷺ: (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق)؛ فقد مارسه اليهود ضد النصارى عملياً من منطلق عنصري يقوم على فكرة أنهم شعب الله المختار.

- وفي المجتمعات الرومانية القديمة شهدت النصرانية على أيدي الأباطرة الرومان إرهاباً قاسياً بسبب مصادرة حرية التدين، كان من أبرز مظاهره إحراق الأباطرة الروماني نيرون المتوفى عام 96م. مدينة روما ليشفى حقه بمرأها وهي تشتعل بأهلها وأموالهم، وتعذيبه لمؤمني النصرى.
- ومارست الكنيسة أسلوب الإرهاب الديني مع مخالفيها في عهد الأباطرة الروماني (قسطنطين) في نهاية الربع الأول من القرن الرابع الميلادي.
- وفي بريطانيا أحرقت الملكة تيودور عام 1155م منتين وثلاثة وثمانين شخصاً لأنهم ينتمون لطائفة البروتستانت.
- وفي فرنسا ابتداء من عام 1208م ولمدة خمس سنوات ذبح مليون شخص من (الألبين) للعلة نفسها.
- وفي أمريكا مورس الإرهاب ضد الهنود الحمر والملونين السود.
- وارتكب البرتغاليون والإسبان في القرن 15م أبشع أنواع العنف والإرهاب ضد الشعوب المستعمرة، وتبعهم في ذلك الهولنديون والبريطانيون والإيطاليون، وكانت الدول الاستعمارية تنكر على شعوب البلاد المستعمرة مقاومة هذا الإرهاب.
- وتعرض العالم لآثار مدمرة نتيجة حربي الإبادة العالميتين الأولى والثانية التي قادتها بريطانيا وفرنسا واليابان وأمريكا وذهب ضحيتها الملايين من البشر وتركت خسائر مالية كبيرة لا تقدر بعدد، وكانت أبشع صورها إلقاء الولايات المتحدة الأمريكية القنبلة الذرية على مدينتي هيروشيما ونجازاكي اليابانيتين.
- وبالرغم مما تتمتع به شعوب الدول الغربية واليابان من حريات، وما يتوافر لدى حكوماتها من قوة هائلة في المعلومات ونظم الأمن المتطورة فإنها غدت في العقود الماضية بيئة للأعمال الإرهابية الموجهة ضد أمنها وسيادة القانون فيها فقد:
- ظهر التيار النازي في ألمانيا ثانية وبقوة منذ عام 1986م .
- ظهرت حركة (لوبن) القومية المتطرفة في فرنسا.
- ظهرت حركة (الباسك) الإسبانية التي تسببت في قتل مئات الأبرياء من المواطنين والسياح، وإتلاف ما قيمته ملايين الدولارات.
- تعرضت بريطانيا منذ عام 1970م لسلسلة من الأعمال الإرهابية الخطيرة من جانب جيش إيرلندا الجمهوري .
- ظهرت جماعات اليمين المتطرف في ألمانيا على أعقاب توحيد ألمانيا وزيادة حجم البطالة.
- ظهر الجيش الأحمر الألماني ومجموعة (أندرياس بادر ماينهوف).
- ظهرت الأنشطة الإرهابية للأجنحة العسكرية اليسارية في كل من فرنسا وبلجيكا.
- ظهرت الفياق الحمراء الإيطالية (الألوية الحمراء).
- ظهرت منظمة (حقيقة أوم العليا)، و(مافيا يكوزا) في اليابان.
- عانت الولايات المتحدة الأمريكية من المنظمات الإرهابية الأمريكية وغيرها، وفي مقدمتها منظمة (كوكلوكس كلان) التي تأسست ما بين عامي 1861م - 1865م، وتعرضت لعدد من الأعمال الإرهابية منها حادث المركز التجاري بأكلاهوما عام 1995م الذي راح ضحيته 186مدنياً و400 جريح على يد أحد رجال الجيش الأمريكي ويدعى (تيموثي ماك فاي).
- تعرضت الولايات المتحدة الأمريكية في 9/11 لحادث اختطاف طائرات أدت إلى تدمير المركز التجاري في نيويورك وهدم جانب من وزارة الدفاع الأمريكية في واشنطن وتسبب في قتل ثلاثة آلاف شخص تقريباً.

- تطورت ظاهرة الإرهاب في الوقت الحاضر لتظهر في أشكال مختلفة ومتنوعة مثل اختطاف الطائرات ونسف المباني والجسور وتدمير المنشآت الحضارية وغيرها.

- ولم تسلم منها دولة من الدول أو مجتمع من المجتمعات البشرية بما فيها المجتمعات المتقدمة علمياً والغنية مادياً والقوية أمنياً.
- مما يدل على أنها لا ترتبط بدين من الأديان ولا بشعب من الشعوب، ولا بطبقة اجتماعية معينة، وإنما تحدث غالباً كمسلك تنفيذي لمعتقد خطأ، أو مسلك انتقامي، أو بسبب وازع عدواني يصدر عن نفس خبيثة ملئت حقداً وكراهيةً للآخرين وطبعت على حب التدمير والإفساد في الأرض، وغذاها الجهل والفقر والإحباط النفسي.
- وقد تعرضت الشعوب الإسلامية أكثر من غيرها لحوادث القتل والإبادة الجماعية.
- فقد عانى المسلمون لمدة قرنين ابتداء من نهاية القرن العاشر الميلادي من حروب صليبية متوحشة في الشام ومصر.
- وتعرضوا في الأندلس لألوان من التعذيب والتنكيل والإبادة الجسدية خلال عامي 1609-1610م عن طريق محاكم التفتيش التي سيقوا إليها في قشتالة وإشبيلية وغرناطة.
- وذاقوا مرارة الهيمنة العسكرية الاستعمارية الإيطالية والبريطانية والفرنسية والإسبانية والهولندية خلال القرنين التاسع والعشرين التي تفننت في التعذيب والاضطهاد واجتثاث كل حركات التحرر من الاستعمار، ولا تزال الشعوب الإسلامية في سورية وفلسطين وكشمير والفلبين والعراق وأفغانستان تتعرض لألوان من الإذلال والمهانة.

موقف الإسلام من الإرهاب:

- الإرهاب مرفوض في الأديان والقوانين ، ويمثل خطراً على المجتمعات والدول؛ إذ يتخذ من إهلاك الحرث والنسل بغير حق وسيلة لتحقيق هدف من الأهداف الشخصية أو القومية أو الدولية.
- نبذ الإسلام التطرف بكل أشكاله، وعدّه نوعاً من الظلم. قال ﷺ: (وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقطظ الله نفسه).
- وبين أن مصير الغالي المتنطع الهلاك والانقطاع. قال ﷺ: ((هَلْكَ الْمُتَنَطِّعُونَ))، وقال ﷺ: ((إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ؛ فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا)).
- واعتبر الإسلام التطرف العملي نوعاً من المحاربة لله ورسوله والإفساد في الأرض يستحق فاعله أشد العقوبات وأقساها.
- قال ﷺ: (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم).
- ذلك أن الإسلام دين يمتلك صيغة وفاق إنساني عالمي، يملكها منهجاً، ويملكها سيرةً وتاريخاً وحضارةً من غير أن يصادر حقوق الآخرين وتطلعاتهم، ويحقق ذلك من خلال مبادئ عادلة يرتضونها لأنفسهم؛ من هذه المبادئ: سماحته ورحابته مبادئه واحتواؤه على أسس التعايش السلمي العالمي لجميع أمم الأرض مهما اختلفت انتماءاتها الدينية والطائفية والعرقية والثقافية، ومنها أنه لا يكره أحداً على دخول الإسلام.
- كما أن الإسلام دين يدعو إلى السلام والتسامح والأمن والاستقرار على الأرض، وهو دين رفع شعار السلام، وجعله عنواناً له، وعلى أساسه رسم ملامحه ومبادئه، فقد قضى على نزعات العنف الهدامة، وعلى بذور الشر في النفس الإنسانية.
- وإذا كان التطرف أو الإرهاب ينشأ أو يرتكب لدوافع سياسية واقتصادية واجتماعية فإنه عالج هذه الدوافع من المهد، ولم يسمح بوجودها أو تطورها، وقد دعا إلى نبذ العنف والإكراه، والجنوح إلى السلم، وحرّم استخدام القوة بشكل غير مشروع.
- وأمر أن يعتمد الحوار مع المخالف على المجادلة والتي هي أحسن، وشرع قانوناً متكاملأ يحدد جرائم الإفساد في الأرض التي تحدث على وجه الإخافة والإرهاب، وبين صورها، وجزاء مرتكبيها، وعدّها نوعاً من محاربة الله ﷻ قبل محاربة أفراد المجتمع.
- بل سبق الإسلام جميع الدساتير الحديثة في معالجة ظاهرة التطرف ومكافحة الإرهاب والعنف، وذلك عن طريق تقرير المبادئ التي تعترف بكرامة الإنسان ومسؤوليته، وتشريع الأحكام التي تحفظ حياته وعرضه وماله ودينه وعقله.

- لذا منع الإسلام بغى الإنسان على أخيه الإنسان، وحرم كل عمل يلحق الظلم به. قال ﷺ: (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون).
- وشنع على الذين يؤذون الناس في أرجاء الأرض، ولم يحدد ذلك بديار المسلمين كما في قوله ﷺ: (وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد).
- ويقوم الإسلام علاقة المسلم بالمخالف له في الدين من أهل الكتاب وغيرهم على أساس التعامل بالبر والقسط والاعتراف له بالحقوق المدنية، والعيش في ديار المسلمين بأمان سواء كان ذمياً أو مستأماً. قال ﷺ: (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين).
- وقد أوجب الدية والكفارة على قتل أحدهم خطأً. قال ﷺ: (وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فِدْيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنْ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا)

موقف المملكة العربية السعودية من الإرهاب:

- تعد المملكة في مقدمة الدول التي أعلنت حربها على الإرهاب، وقد حرصت على المشاركة في المؤتمرات الإقليمية والدولية التي تعنى بهذا الموضوع، وعلى الانضمام إلى الاتفاقيات العربية والدولية التي تسهم في مكافحة ظاهرة الإرهاب.
 - كما أنها عملت بكل دقة وجدية على تنفيذ بنود الاستراتيجيات والخطط الأمنية التي تم إقرارها لتحقيق التكامل الأمني ومكافحة الجريمة بكل صورها وأشكالها والحفاظ على أمن الوطن وحماية حياة أفراده وممتلكاتهم، وتوثيق أوامر التعاون الأمني خاصة بين الدول العربية.
 - ومن ذلك تنفيذ الإستراتيجية العربية لمكافحة الإرهاب التي أقرها مجلس وزراء الداخلية العرب عام 1417هـ، وأعقب ذلك إقرار الاتفاقية العربية لمكافحة الإرهاب في صورتها النهائية عام 1419هـ بهدف تعزيز التعاون لمنع الإرهاب ومكافحته وإزالة أسبابه، والتعاون مع الدول والمنظمات الدولية من أجل ذلك.
 - ومن المؤسف أن المملكة العربية السعودية لم تسلم من هذه الظاهرة؛ إذ اجتاحت موجتها بعض مدنها الكبيرة متعرضة لحوادث إرهابية مؤلمة، كان ضحيتها الأبرياء من المدنيين ورجال الأمن، وحصول دمار لبعض مرافقها الهامة وبنيتها التحتية، واستهدفت أمنها ووحدتها.
 - إن الأعمال الإرهابية تعد من الناحية الشرعية جريمة خطيرة لما لها من آثار سنية على ضروريات الناس وحياتهم ومعاشهم؛ لذلك ألحقتها هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية بجريمة الحرابة والإفساد التي توعدهم الله فاعلها بعقوبة زاجرة لبشاعتها وعظم ضررها، يظهر هذا جلياً في قرارات الهيئة وفق ما يأتي:
- (1)) اعتبار قتل الغيلة نوعاً من الحرابة، وهو ما كان عمداً عدواناً على وجه الحيلة والخداع، أو على وجه يأمن معه المقتول من غائلة القاتل، وذلك بقرار الهيئة رقم (38) وتاريخ 1395/8/11هـ .**
- (2)) اعتبار التفجير والاختطاف وإشعال الحرائق في الممتلكات العامة والخاصة، ونسف المساكن والجسور والأنفاق، وتفجير الطائرات أو خطفها من الحرابة، وذلك بقرار الهيئة في دورتها الثانية والثلاثين المنعقدة في مدينة الطائف في الفترة من 1409/1/8هـ إلى 1409/1/12هـ .**
- (3)) اعتبار حوادث التفجير التي حدثت في بعض المدن العربية، وما حصل بسببها من قتل وتدمير وترويع وإصابات لكثير من الناس من المسلمين وغيرهم من الإفساد، وذلك في بيان أصدره مجلس الهيئة في الطائف في 1417/2/14هـ .**
- لذا فإن المسلم يجب عليه أن يخاف الله ﷻ ويتقيه، ويتجنب كل ما فيه إضرار بأمن الناس ومعاشهم، وأن يتعاون مع ولي الأمر والقائمين على الأمن في التصدي لكل من يتبنى أفكاراً ضالة، أو يمارس سلوكاً يخل بأمن الوطن أو يسيء إلى مبادئه ووحدته؛ فإن الأمن نفيس لا يصح التهاون فيه بأي حال من الأحوال.